مفاتح إقامة الصلاة
وإخلاص العبودية لله

الصلاة
سر النجاح في الحياة

إعداد
د.
خالد بن عبدالكريم اللاحم
أستاذ القرآن وعلومه المساعد
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إنني أنا الله
لا إله إلا أنا
فاعبدني
وأقم الصلاة
لذكري

المعنى : لكي تتذكر عبوديتك لله ولتتذكر أنه لا إله إلا الله فعليك بإقامة الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد فهذه خلاصة في بيان هذا الموضوع الكبير: الصلاة، الصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن ردت رد سائر عمله ، وهي آخر وصية النبي الرحيم بأمته صلى الله عليه وسلم جاد بها وهو يجود بأنفاسه الأخيرة في تبليغ رسالات ربه، وهي أول عمل فرض على النبي صلى الله عليه وسلم بعد بدء الوحي في ثاني سورة نزلت من القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢﴾ المزمل: ١ - ٢.

وقد يطول عجبك وأنت تتأمل في حال كثير من المسلمين اليوم، كيف يوجد فيهم الضعف ، وتعصف بهم الكثير من المشاكل وعندهم هذه الصلاة ، كيف تضعف أمة عندها هذا الكنز العظيم والسلاح المتين.

ترى في المجتمع المفارقات العجيبة والوقائع الغريبة من أناس يترددون على المساجد صباح مساء، ومن نساء يحافظن على الصلوات الخمس.

نحن نعلم ونقرأ ما وصف الله تعالى به حال المصلين وما وعدهم به من وعود في الدنيا والآخرة .

فما سر هذا الفك بين السبب والنتيجة؟ وهل يشك مسلم في وعد الله ؟

والسؤال هنا: كيف يحدث هذا؟ وما تفسير هذه المفارقات المحيرة؟ لا شك أن في الأمر سرا ، وأن هناك خللا واضحا.

إن صلاة كثير منا ليس لها من اسمها نصيب بل هي كيس هواجيس، فارغ من أي ذكر لله تعالى ، حركات وقراءات فرغت من معانيها، قراءة بغير قلب، بل ترى في

صفوف المصلين من لا يقرأ البتة من دخوله الصلاة حتى خروجه منها ، صارت الصلاة عند كثير من المصلين عادة لا فقه لمعانيها.

إنه حري بكل محب لنفسه وأمته، راغب في تحصيل خيري الدنيا والآخرة أن يبحث وأن يفتش عن الأسباب وأن يلتمس الحلول لهذه المشكلة العظمى من مشاكل الأمة.

إقامة الصلاة كلمة شاملة عامة تتضمن كل ما يتعلق بالصلاة من الأعمال الظاهرة والباطنة ،إقامة الصلاة مراتب ودرجات، أولها أداء ظاهرها وآخرها المراتب العليا من الخشوع والإخبات فيها لرب العالمين، وقد ورد مصطلح إقامة الصلاة في القرآن أكثر من أربعين مرة.

هذا الكتاب يتحدث عن المفاتيح التي يتحقق بها إقامة الصلاة ظاهرا وباطنا ، ويحاول أن يعالج الخلل والنقص الذي يحصل في الصلاة لتكون صلاة كما أرادها اللّه من عباده، ولتحقق جميع مقاصدها فتكون سببا للفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

أسأل اللّه بمنه وكرمه أن يجعلنا من المقيمين للصلاة ومن ذرياتنا ، ونسأله سبحانه يصلح أحوالنا وأن يغفر لنا ويرحمنا ويهدينا الصراط المستقيم ، إنه سميع مجيب، وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

تمهيد: مقالات في الصلاة

هذه مقالات في الصلاة لم يكن لها مكان مناسب في مفاتيح الكتاب، وبعضها جاء ضمن بعض المفاتيح وخشيت أن يقفزه القارئ ويفوت عليه دون أن يشعر فأبرزته في مقال خاص في هذا التمهيد.

❖ أولا: صلاة جوف الليل وصلاة الفجر

إن الصلاة في جوف الليل الآخر لا يعدلها أي صلاة ، إنها الوقود لصحة القلب وحياته ، فهي المنطلق والأساس في كل ما يقال في تزكية القلب وتحقيق النجاح في الحياة ، بدونها يصبح القلب ضعيفا لا يمكنه القيام بما أنيط به من واجبات عظام ومهام ثقال.

إن ترك الصلاة في جوف الليل هو من أعظم الأسباب فيما أصاب الناس من وهن وضعف وانحراف، لماذا ؟ لأنهم بهذا أضعفوا قلوبهم وتبعها كل ضعف .

إن قناعة الناس وإيمانهم بأهمية هذا العلاج ضعيفة لذلك يحصل التهاون به حتى من بعض طلاب العلم والدعاة والصالحين .

إن هذا العلاج يستحق مهما أخذ من وقت ومهما كان صعبا مادام الثمن قوة القلب ، قوة الإرادة وشرح الصدر واستثمار أعلى للوقت والحياة .

الصلاة في جوف الليل سر من أسرار الحياة ، سهل ميسر بعون الله ، فاستفد منه قبل فوات الأوان.

جوف الليل الآخر من أهم أوقات الصلاة لذلك فإن الشيطان يحرص أشد الحرص على تفويت هذه الفرصة كل ليلة على الإنسان ليتمكن منه وينتصر عليه كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك حين قال : يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد <البخاري ومسلم عن أبي هريرة> ، وقال عن رجل نام حتى أصبح : ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه <البخاري ومسلم عن ابن مسعود> ، فاحذر أن يبول الشيطان في أذنيك ويتسلط على قلبك ويزعجك بأنواع الوساوس، بل احرص كل الحرص على الاستيقاظ قبل الفجر والوضوء والصلاة لتحصل بإذن الله على قوة

قلبك وتنتصر على الشيطان ولا ينتصر عليك فيؤذيك خلال يومك وليلتك، أنت في معركة فاحذر أن تنسى ذلك وتضع سلاحك وتترك الجهاد فتهزم وتخسر.

إن من أسوأ العادات التي ابتلي بها مجتمعنا اليوم عادة السهر بعد صلاة العشاء والتأخر في النوم إلى منتصف الليل أو قريبا من الفجر ثم النوم وتضييع أهم وأثمن وأغلى موارد قوة القلب والنفس ، ومع وضوح الأدلة وكثرتها في هذه المسألة وقوتها إلا أنك ترى الكثير غير مستعد لتغيير هذه العادة والالتزام بالنوم المبكر والاستيقاظ قبل الفجر والصلاة في جوف الليل ، وهذا شيء عجيب تقول له هذا هو العلاج ، وهو يعاني من المرض ويتألم ثم لا تمتد يده لأخذ العلاج ؟

والمشاهد في واقعنا اليوم أن هذه العادة لم يقتصر ضررها على ترك صلاة آخر الليل فحسب بل امتد إلى ترك صلاة الفجر أو التثاقل عنها ، حتى إن صلاة الفجر اليوم أصبحت لا تختلف من حيث المقدار عن صلاة المغرب بينما السنة معلومة في هذه المسألة ، وبالمقارنة بين صلاة الفجر في مجتمعنا اليوم وقبله بعشرات السنوات نجد انحدارا تدريجيا في تخفيفها وقلة من يصليها ، وصاحب هذا النقص في صلاة الفجر زيادة المشكلات في المجتمع وحصول الوهن والضعف في النفوس حتى إن معدلات الإنجاز عند كافة شرائح المجتمع أصبحت مقلقة سواء في ذلك الطالب أو المعلم أو الموظف أو الطبيب أو المهندس أو العامل.

لو صلى الناس اليوم صلاة الفجر كما كان يصليها النبي صلى الله عليه وسلم فإني على يقين بإذن الله تعالى أن واقعنا سيتغير إلى الأفضل والأحسن، ويختفي كثير من مظاهر الفشل والنقص شيئا بعد شيء ، فإن الخير يجذب بعضه بعضا ، والشر كذلك يجر بعضه بعضا ، فالإنسان إما في صعود أو هبوط لا يمكنه التوقف أبدا هذه سنة الحياة.

❖ ثانيا: الصلاة أعلى استثمار لرمضان وليلة القدر

إن المتأمل في هدي النبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا يجد أن الصلاة هي أهم ما يميز به الأوقات الفاضلة وفرص العمر الثمينة كرمضان عامة والعشر الأواخر وفيها ليلة القدر خاصة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قام رمضان إيمانا

واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه (البخاري ومسلم عن أبي هريرة) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه (البخاري ومسلم عن أبي هريرة) ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله (البخاري ومسلم عن عائشة) ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين بصلاة ونوم فإذا كان العشر شمر وشد المئزر (أحمد عن عائشة) ،هذا أهم عمل يختص به رمضان وتستغل به ليلة القدر ، إنه الاجتهاد في الصلاة معظم الليل .

ونلاحظ أيضا أنه في هذا الشهر العظيم والموسم المبارك شرع صيام النهار ومن أهم مقاصد هذا الصيام أن يكون معينا على صلاة الليل بتهيئة القلب لتلقي العلم والإيمان ، ومحققا لصحة البدن لينشط في هذه الصلاة المباركة ، وفي العشر الأواخر من رمضان سن النبي صلى الله عليه وسلم لأمته الاعتكاف ليكون معينا على ذكر الله وكثرة الصلاة التي تقرب إلى الله عز وجل وتزيد الإيمان بالله واليوم الآخر .

❖ ثالثا: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي

مما لا شك فيه ولا ريب أن الصلاة هي العلاج الجذري والمنهجي لما يشكو منه كثير من المربين والمصلحين مما وقع في صفوف الشباب والفتيات وهو ما يعرف بالعشق أو التعلق، وهو أنواع وألوان، وهو مراتب ودرجات فمنه القوي المستحكم ومنه السطحي الطفيف، ومنه الشامل المستغرق ومنه ما يكون في أمر واحد دون غيره من الأمور.

ومن يقرأ كتاب الجواب الكافي لابن القيم يراه يشخص ما ابتلي به الشباب والفتيات اليوم، وقد أطال ابن القيم في معالجة القضية وتحليلها وأجاد في ذلك إلا أن عين الدواء ربما اختفى في ثنايا كلامه ولم يستطع القارئ فقهه وفهمه.

والخلاصة والاختصار لمن سأل عن الجواب الكافي والدواء الشافي لعلاج هذه المعضلة التي تسيطر على القلب وتفسد السلوك وتوقع المبتلى بإحراجات ونقائص متعاقبة هو : الصلاة بمفاتيحها ، والتدريب على تطبيقها بشكل عملي متكامل، إنه علاج عملي واضح ويقع على موضع الداء تماما وبعون الله يقتلعه من القلب والنفس ويحصل الشفاء والتنعم بالحرية والتخلص من عبودية التعلق.

إن عبودية العشق تحصل حين يفرغ القلب من عبودية اللّه ، والصلاة بمفاتيحها إذا طبقت بشكل صحيح متكامل تزرع عبودية اللّه في القلب وتنمو يوما بعد يوم حتى يحصل الارتقاء والصعود في سلم الكمالات ومراتب المعالي.

أصل هذا المرض وسببه الأكبر ضعف الإيمان وفراغ القلب من ذكر اللّه ، ثم إطلاق البصر وملاحقة الصور دون مراقبة أو مجاهدة أو محاسبة ، فتجد الشباب أو الفتيات يطلقون أبصارهم دون الشعور بأي حرج فيبدأ المرض ثم يزيد بالتدريج إلى أن يستحكم ويتغلغل فيسيطر على القلب ويأسره، وفي هذه المرحلة تتنوع الحالات فالكثير منهم يحصل عنده التعلق بصورة واحدة تسيطر عليه وتسد عليه الأفق فلا يرى غيرها ، وفي حالات أخرى يحصل التنقل من صورة إلى صورة بين كل فترة وأخرى ، وفي كل الحالات العلاج بإذن اللّه سهل ميسر حين يعالج بالصلاة ، بالتعليم والتوجيه والترغيب والتدريب إلى أن يتماثل الشخص للشفاء ويحس بالعافية وبعدها يمكنه متابعة نفسه بمفرده مع التأكيد عليه بألا يفرط بالعلاج أو يهمله حين يرى الشفاء ويحس بالعافية فينتكس مرة أخرى.

الصلاة هي المعين الأول لمن لم يستطع الباءة أي الزواج ، والصوم وجاء أي قاطع لما يتبقى من دواعي الشهوة ، وقاطع لوساوس الشيطان .

فالصوم لا يكون وجاء حتى تكون قبله الصلاة وعلى الوجه الصحيح ، فالصوم والصلاة قرينان لمن أراد تزكية قلبه وإعفاف نفسه ، وحينما نقول الصلاة فينبغي أن نعلم معنى الصلاة وتعريفها العملي أنها ما تضمنت المفاتيح الثلاثة عشر.

❖ رابعا: الصلاة حصن المسلم

حين طرد الشيطان من الجنة أقسم بعزة اللّه تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ص: ٨٢ - ٨٣ ،لماذا استثنى المخلصين ؟ الجواب معلوم : أنه لا يقدر عليهم وليس له عليهم سلطان كما أخبر اللّه بذلك : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾الإسراء: ٦٥ ، والصلاة القائمة تحقق الإخلاص الذي يحفظ ويحصن العبد من الشيطان، تسلط الشيطان يعني نقص إخلاص العبودية للّه ، والصلاة تحقق إخلاص العبودية للّه رب

العالمين ، إذا الصلاة حرز وسياج قوي يحفظ ويحمي العبد من كيد الشيطان ، هذا هو التشخيص ، وهذه هي المعادلة في هذه القضية .

لا يوجد في هذه الحياة مضاد لسلطان الشيطان على النفس ، ومبيد لوساوسه في القلب مثل الصلاة.

إن الصلاة متى أديت بالكيفية الصحيحة والكمية الكافية فإن الشيطان لا يجد له إلى القلب سبيلا ولا يكون له سلطان على النفس أبدا .

هذا هو علاج النفس وشفاء القلب وهو بين يديك فإن شئت فاجتهد فيه تحصل على الحصانة والمناعة، وإن فرطت وقصرت في المجاهدة والتدريب فاعلم من أين أتيت وما سبب ضعفك ومصدر بلائك ، ومتى تعبت من حالك وأغلقت في وجهك الأبواب فتذكر هذا العلاج وعليك به يشفك الله من كل داء .

هذه كلمات موجزة في هذه القضية الكبيرة من قضايا الحياة توضح لك أبعاد القضية وتجيبك على كل أسئلتها ، وتجمع لك أطرافها، فمن علم غنم ، ومن جاهد سلم .

❖ خامسا: الصلاة والنصر

الصلاة هي وسيلة النصر ، أعني الصلاة التي تحقق التوحيد وإخلاص العبودية لله رب العالمين ، فالنصر يتنزل على المخلصين.

هذه الصلاة هي أمضى سلاح في هذه الحياة ، وكل سلاح عداها فلا يعد شيئا في مقابلها ، إننا قبل أن نفكر أو نشتغل بالأسلحة المادية يجب أن نخطط ونسعى جاهدين إلى زرع هذا السلاح في نفوس أفرادنا فردا فردا، فمتى تحقق ذلك فإن النصر معه بإذن الله ، فالنصر مع الصبر ، والصبر من أعظم ثمار الصلاة .

الصلاة هي سلاح القوة للفرد والأسرة والمجتمع والدولة ، فأي فرد أو أسرة أو أمة حقق أفرادها الصلاة نصرت وسادت ، هذا وعد الله المؤكد وليس من عندي ، والتاريخ خير شاهد على هذه الحقيقة الربانية ، والوعد الإلهي.

إن الصلاة هي السلاح الذي يجب أن يسعى المسلمون إلى التسلح به ، وهي السلاح الذي يرهب الأعداء ويقذف في قلوبهم الرعب فلا تنفعهم أسلحتهم شيئا ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾الأحزاب: ٢٦ .

لقد وعد الله عباده المخلصين بالنصر والتمكين فقال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾النور: ٥٥ ، هذا هو الشرط وهذا هو الجزاء ، فالمعادلة واضحة وقاطعة ، والوعد من العليم القدير أكيد مضمون ، لكن يبقى العمل ومن يحقق الشرط المطلوب وهو إخلاص العبودية لله وحده لا شريك له، والصلاة هي الوسيلة إلى إخلاص العبودية لله رب العالمين ، فمتى كانت الصلاة صلاة فإن إخلاص العبودية لله حاصل معها ولا بد والنصر جزاء المخلصين.

لم تكن كثرة العدد وقوة السلاح يوما ما هي المعيار الفاصل في القوة بل القاعدة في هذا الأمر : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٤٩ ، ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾آل عمران: ١٦٠ ، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾فاطر: ١٠ ، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾المنافقون: ٨ ، ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾الروم: ٤٧ .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يلجأ إلى هذه الصلاة في شدائد الحياة كلها ومن أشدها حين ملاقاة الأعداء، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال ثم جئت مسرعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنظر ما فعل ، فجئت فإذا هو ساجد يقول : (يا حي يا قيوم) لا يزيد على ذلك ، ثم رجعت إلى القتال ، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك ، ثم ذهبت إلى القتال ثم رجعت وهو ساجد يقول ذلك ، ثم ذهبت إلى القتال ثم رجعت وهو ساجد يقول ذلك ، ففتح الله عليه <تعظيم قدر الصلاة ٣٤٣/١> ، وفي حديث حذيفة في غزوة الخندق ذكر فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان طول الليل يصلي <مسند أحمد> ، وكان هذا دأبه صلى الله عليه وسلم في كل غزواته فكانت الصلاة هي السلاح الذي يستنزل به النصر من ربه و يستدفع به شر أعدائه ومكائدهم، فكان الله ينجيه ويحفظه في كل مرة ، وهذا العون والمدد حاصل لكل من تأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم وسلك طريقه واستن بسنته.

من كان كذلك فهو القائد الذي تنصر أمته ، والمربي الذي يصلح مجتمعه، والإداري الذي ينجز أهدافه ، أما من تكبر وأعرض أو أهمل وتكاسل فليس له من هذا النصر نصيب.

❖ سادسا: الصلاة والرزق

قد ربط الله تعالى الرزق بالصلاة في أكثر من آية في كتابه الكريم ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ الذاريات: ٥٦ - ٥٨ ، وقوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢ ﴾طه: ١٣٢ أي جاهد نفسك على فعلها وإتقانها وإحسانها وكثرتها ولا تضع وقتك وحياتك في البحث عن الرزق وتأمين المستقبل، فالله لم يخلقك لتتعب وتشقى في طلب رزقك فقد كفله لك حين تصطبر على الصلاة، فمتى رعيت هذه الصلاة وقمت بها كما يجب فإن رزقك مكفول يأتيك وأنت في محرابك ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ ﴾آل عمران: ٣٩ ، ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾آل عمران: ٣٧ ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا <الترمذي وصححه عن عمر بن الخطاب> ،المؤكدات لهذه القضية واضحة ساطعة ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، الكثير من الناس لم يثق بربه وبوعده فاشتغل بما ضمنه له عما أمره به فوكله الله إلى نفسه فتعب وشقي وأضاع الاثنين فلم يحفظ صلاته ، ولم يأته من رزقه إلا ما كتب له.

إن ارتباط الصلاة والعبودية بالرزق في آيات القرآن عجيب ودقيق كلها تؤكد هذا المعنى .

ولا يفهم من هذا الكلام الدعوة إلى البطالة وترك السعي في مناكب الأرض بحثا عن الرزق، إنما هي أولويات ، فالصلاة أولا ، ولها الصدارة في احترام مواعيدها ومنحها الوقت الكافي فرضا ونفلا ، ثم بعد ذلك في الوقت متسع لطلب الرزق كما قال تعالى ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾المزمل: ٧.

والمقصود أن الصلاة تثبت في القلب الإيمان والتوكل واليقين الذي هو أعظم أسباب الرزق ، وهو باب الخيرات والبركات ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ ﴾الجن: ١٦ ، ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾ نوح: ١٠ - ١٢.

❖ سابعا: الصلاة والتدريب

لا تظن أن ما تسمع عنه من اجتهاد الصالحين في الصلاة وحبهم لها وشوقهم إليها وتلذذهم بها يأتي طفرة أو فجأة بل إن هذا يحتاج إلى جهاد ومجاهدة ومصابرة ، ويسبقه ابتلاء وتمحيص واختبار ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١ ﴾محمد: ٣١ ، ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ ﴾العنكبوت: ٢.

فلا تتوقع أن تجد ما وصف في هذا الكتاب من أول مرة، ولا يصرفنك عما ذكر ويحصل عندك الشك والريب ألا تجد ، بل إن ما ذكر ليس مصدره ومستنده التجارب والأخبار والأحوال إنما مصدره قول الكبير المتعال وهو أصدق القائلين ، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى فالثقة بما وصف ثابتة وقوية لكن يبقى الأمر من يفوز ويصل ومن ينقطع به الطريق ويحال بينه وبين الجائزة العظمى والمنحة الكبرى والمنة العليا.

فالأمر يحتاج إلى استعانة بالله تعالى وقوة توكل عليه وكثرة دعاء وإلحاح آناء الليل والنهار مستمر لا يفتر ولا ينقضي ولا ينتهي حتى يصل إلى المطلوب ويظفر بالمرغوب.

فاستدرك عمرك وبادر باغتنام فرصتك واستثمار وقتك وحياتك وتكوين ذاتك ونفسك حتى تستفيد من أكبر قدر ممكن من عمرك ، وتستثمر أعلى ما يمكن من حياتك.

المجاهدة في الصلاة لجمع القلب على الله تعالى ولتركيزه على تدبر ما تقرأ وما تقول يحتاج إلى بذل جهد مضاعف واهتمام كبير ، ،فجمع القلب في الصلاة وإقباله على الله يحتاج إلى صبر ومصابرة ومرابطة، ولا يصح أن يطلق المصلي لنفسه العنان تفكر كيف شاءت وبما شاءت وتسرح وتجول في كل واد بل عليه أن يجاهدها وأن يردها

كلما همت بالشرود أو حاولت الخروج ، ومع التكرار فإنها تروض وتذعن وتتعود على الاستقرار والاجتماع بإذن الله تعالى .

❖ ثامنا: الصلاة قبل البرامج والدورات

نسمع في هذه الآونة كثرة المطالبة بحضور الدورات من أجل علاج المشكلات التربوية والنفسية أو بناء وتغيير الذات ، وأقول إن العلاج لمثل هذه الأمور في الصلاة قبل أن يكون في البرامج والدورات، فمن يريد علاج مشكلاته وإصلاح نفسه وتربيتها ، فعليه بالصلاة ، لكن ليس أي صلاة بل الصلاة بمفاتيحها كاملة ، والسبيل إلى ذلك التدريب على مفاتيحها الثلاثة عشر ، أي المجاهدة في أن تكون صلاة تامة كاملة.

أما الصلاة التي يصليها اليوم كثير من المسلمين فهي صلاة ناقصة ، وليس العيب في الصلاة إنما العيب من المصلي الذي لم يصل صلاة تامة ، وهذا الكلام يقال جوابا لمن يقول: إننا نرى كثيرا من النواقص والظواهر السيئة عند المصلين.

الصلاة هي الوسيلة لبناء الإنسان الصالح المصلح ،ومتى صلح الإنسان صلحت تلقائيا كل أموره التي يحاول البعض إصلاحها مفككة منفصلة فمن المعلوم أن جميع جوانب حياة الإنسان متوقفة على قناعاته وأفكاره ومعتقداته ، والصلاة مهمتها بناء الأفكار والمعتقدات إذا أديت بطريقة صحيحة.

كل المشاكل الأخلاقية والسلوكية سببها إهمال الصلاة والتفريط فيها ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾ مريم: ٥٩ ، إنه متى تم بناء الشخصية القوية من خلال الصلاة فإن بناء المهارات الأخرى يكون أسهل وأسرع بمرات كثيرة مقارنة بضعيف الشخصية ، لأن صاحب الشخصية القوية يتعلم أسرع والتزامه قوي وجديته عالية وهذه أمور بلا شك تختصر كثيرا من الجهود والأوقات.

فالصلاة هي القاعدة وهي السقف لكل ما يريده الإنسان في هذه الحياة ، هي أولا وآخرا ، إنها نعمة عظمى منَّ الله بها على عباده ، فمن استفاد منها تنعم وسعد في الدنيا والأخرى ، ومن أهمل وفرط شقي في دنياه وآخرته.

فنقول أصلحوا الصلاة أولا لتختصروا الوقت والجهد في الإصلاح والتربية والتغيير ، فإذا أصلحتم الصلاة وبقيت أشياء تحتاج إلى إصلاح فابحثوا عنها في غيرها ، أما إشغال

الوقت بالبحث عن الإصلاح في البرامج والدورات مع إهمال الصلاة فهذا إتيان للبيوت من ظهورها ، وعكس لسلم الأولويات.

❖ تاسعا: التربية هي الصلاة

التربية هي الصلاة ، هذا باختصار هو التعريف العملي للتربية وبيان حدودها ، وكل ما عدا ذلك من أمور التربية فهي أمور فرعية تأتي تبعا لهذا الأصل العظيم الذي يصنع روح الإنسان ، ويربي نفسه تربية يسهل معها كل تربية ، ويمكن معها غرس كل فضيلة واقتلاع كل رذيلة بيسر وسهولة.

أما من يفقد التربية على الصلاة فيصعب ملاحقة مفردات سلوكه وتعديل أخلاقه وتصرفاته.

إن التربية على الصلاة تزرع في النفس القوة الموجهة للذات التي تقودها إلى المكرمات وتذودها عن السفاسف والدناءات .

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وكفى بهذا البيان من رب العالمين تأصيلا وتأكيدا لما أريد إثباته في هذا المقال.

نعم التربية هي الصلاة، لكن البعض قد يجهل كيفية التربية بالصلاة ، والبعض ربما ينقص فقهه وفهمه لهذه القضية فيرى أن الصلاة مجرد عبادة من العبادات تؤدى حسب تعليمات معينة وانتهى الأمر.

والصواب هو ما تم تقريره وتوضيحه في مسائل هذا الكتاب ، نسأل الله بمنه وفضله أن يهدينا إلى سواء الصراط.

التربية على الصلاة يكون بأمرين:

الأول : لماذا أصلي ؟ وهو المفتاح الأول ، ويمثل جانبه التطبيقي معجم مقاصد الصلاة.

الثاني : كيف أصلي ؟ وهو بقية المفاتيح.

ولا يصح في التربية الفصل بين القرآن والصلاة ، فيكون حفظ القرآن في جهة ، والصلاة في جهة كما يفعله بعض المربين في الحلقات، بل هما لحمة واحدة، كتلة واحدة ، سبيكة واحدة ، إن التربية يجب أن تسير على الاثنين معا وفي مسبك واحد كما تم بيانه في هذا الكتاب وكتاب الحفظ التربوي للقرآن.

وأما اقتصار بعض الحلقات على تحفيظ القرآن دون التربية على الصلاة، أو عدم إعطائها ما تستحق، أو الفصل بينهما ، فهذه أخطاء تربوية تحتاج إلى تصحيح.

❖ عاشرا: الصلاة نصفان

الصلاة نصفان: نصف لله أي ثناء على الله تعالى وتعظيم له وتقديس، ونصف للعبد أي تضرع واستكانة وذل وخشوع وإخبات وتمسكن ودعاء.
والفاتحة جزء من الصلاة وقد ذكر الله تعالى أنه قسمها نصفين ، نصف له سبحانه ، ونصف لعبده ،ثم بين ذلك آية آية.
استحضار هذا المعنى يجعل الصلاة أكثر عمقا وفقها ويجعل المصلي يركز ويعي ما يقول فكل ما يقوله المصلي في صلاته لا يخرج عن هذين القسمين.
والقرآن بيان لهذين النوعين، وتفصيل وتوضيح لهما، فبقراءة القرآن بتدبر في الصلاة يتفقه العبد في عظمة ربه وجلاله وقدسيته ووحدانيته، ويتفقه العبد بفقره وفاقته وشدة حاجته واضطراره إلى ربه وخالقه وأنه لا يستغني عن ربه طرفة عين.
فهذه الأمور الثلاثة : قراءة القرآن بتدبر في القيام ، وتعظيم وتقديس الله في الركوع ، والتضرع وكثرة الدعاء في السجود ، لا بد منها معا، ونقص أحدها وإهماله يؤدي إلى موت الصلاة أو ضعفها، وجاء بيان هذه الأمور الثلاثة في آواخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بيوم أو يومين، وذلك فيما أخرجه مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستر ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه فقال: اللهم هل بلغت ثلاث مرات إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبد الصالح أو ترى له ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم.
بعض المصلين يركز على قراءة القرآن وينسى التعظيم أو ينسى التضرع ، وبعضهم يركز على التضرع والانكسار والسؤال وينسى تدبر القرآن أو ينسى تعظيم الله وإجلاله وتقديسه، فمن فعل ذلك فقد وقع في نقص عظيم وفاته خير كثير.

والمقصود أنه لا بد من التوازن بين هذه الأمور الثلاثة لتكون الصلاة صحيحة سوية ، حية نابضة قوية مؤثرة ، لا بد من هذه الأمور الثلاثة لتحقق الصلاة مقاصدها.

وهكذا كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فكان قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه قريبا من السواء.

المفتاح الأول : حفظ مقاصد الصلاة (لماذا أصلي؟)

إن استحضار مقاصد الصلاة وحضورها في القلب بصورة صحيحة وعميقة من أهم ما يفتح للعبد تعظيم الصلاة ويجعله يعرف علو شأنها ورفيع قدرها ، وعظيم خطرها ، وشرف مكانتها ، والعلم بمقاصد الصلاة من أهم الأسباب الجالبة لحب الصلاة وقوة الرغبة في الإكثار منها وتطويلها والتلذذ بها ذلك أن من عرف قيمة الشيء حرص عليه ورغب فيه.

وقد جمعت النصوص التي دلت على مقاصد الصلاة في (معجم مقاصد الصلاة) ، وهو متن يتضمن النصوص من القرآن والسنة ، ثم جعلت له شرحا مستقلا يبين الشاهد من النص ووجه الاستشهاد مع بيان وتوضيح لأهم ما تضمنه النص من معان تدل على مقصود المعجم ، فالمتن يحفظ عن ظهر قلب ، والشرح يقرأ في مواعيد محددة يومية أو أسبوعية قدر الإمكان ،ومن يفعل هذا فبإذن الله تعالى تعظم الصلاة في نفسه ، ويعرف قدرها وسر مشروعيتها فلا يمل منها أبدا ، فضلا عن تركها أو التهاون بها.

هذا المعجم مع هذه المفاتيح هي أداة التربية على الصلاة للناشئين والمبتدئين والمتقدمين ، فالتربية على الصلاة تكون من خلال هذا المعجم والمفاتيح نصا نصا ، حفظا وفقها ، وهذا أخصر طريق للدعوة إلى إقامة الصلاة والنجاح بها في الحياة .

هذا ما أرجو الله أن ييسره لكل عبد راغب في الخير طامع في النجاة والفوز والفلاح.

وكنت ترددت كثيرا في طريقة عرض هذا المبحث الذي أعتبره لب البحث وعموده ، هل أعرضه على ترتيب النصوص أو حسب المعاني والموضوعات التي تضمنتها النصوص، ثم رأيت الجمع بينهما بأن يكون عرض المقاصد موضوعيا في هذا البحث ، وعرضها حسب ترتيب النصوص في معجم مقاصد الصلاة مع شرحه ، وبهذا يحصل الجمع بين الطريقتين ولا نفقد شيئا من الفوائد والمعاني المتعلقة بهذا الأمر المهم من أمور الصلاة.

الحفظ التربوي لمعجم مقاصد الصلاة هو الطريق إلى حب الصلاة والرغبة فيها وقوة الإرادة لفعلها وانشراح الصدر لها في كل وقت والشوق إليها وأن تكون قرة العين وبهجة النفس .

إن تعظيم الصلاة ومعرفة شأنها فرع عن العلم بمقاصدها وقوة اليقين بمعانيها ، فقوة الإيمان بالصلاة هي أول وأولى لبنة يتم بناؤها في تربية الإنسان وصناعته.

إن الحفظ التربوي لمقاصد الصلاة ليس بالأمر السهل بل يحتاج إلى جهاد ومكابدة حتى يتمكن العبد من ربطه في قلبه وتثبيته في فؤاده وحينها يكون هدي إلى الصراط المستقيم وسار على الدرب القويم.

إن تعلم وتعليم مقاصد الصلاة لهو من أهم الواجبات وأول المفروضات لأنه به يستقيم عمود الدين ويحصل به السير على الصراط المستقيم .

ومع هذا الحفظ وقبله وبعده لا بد من كثرة الدعاء بأن يجعل الله الصلاة قرة عينك وأن يشرح لها صدرك ، أي دوام التضرع بأن ييسر الله لك هذه الصلاة وأن يجعل لك منها أوفر الحظ والنصيب ، فكان من دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام :﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾إبراهيم: ٤٠ ، فادع الله ليلا ونهارا سرا وجهارا أن يجعلك وذريتك من مقيمي الصلاة ، لا يهدأ لك بال، ولا تقر لك عين حتى تكون الصلاة قرة عينك وذريتك وإخوانك المسلمين.

❖ المقصدالأول : الذكر والعلم والإيمان

يقول الله تعالى :﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾طه: ١٤ ، ويقول عز من قائل: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ العنكبوت: ٤٥ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ البقرة: ١٥٣ ، دلت هذه الآيات وغيرها على أن المقصود الأول من إقامة الصلاة ذكر الله.

وما هو ذكر الله ؟ هو اليقين بأنه : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو إخلاص العبودية لله وحده ، هذا هو أساس مقاصد الصلاة وقاعدتها ومنه تتفرع بقية المقاصد.

المقصود الأعلى والأعظم من الصلاة أنها ترسخ في القلب (لا إله إلا الله) هذا هو هدف الصلاة والغاية من مشروعيتها ، الصلاة بجميع أفعالها وأقوالها من بدايتها إلى نهايتها تحقق هذا المقصود متى كانت صلاة تامة.

إذا سألتك نفسك لماذا تصلي ؟

فالجواب: أصلي لله ، لأحفظ اسم الله فلا يغيب عن قلبي طرفة عين.

كلما صليت كلما زدت فقها وعلما بالله، كلما زدت نورا وهدى وبصيرة وتقى ويقينا وإنابة وخشية وتوكلا، وهذا عين الإخلاص لله رب العالمين.

الصلاة لمذاكرة وحفظ العلم بالله ، الصلاة تعلم ودراسة وقراءة اسم الله .

حين تصلي فأنت تطلب العلم ، وليس أي علم ، بل هو أعلى علم وأشرفه وأعظمه ، ويخطيء من يغيب عن قلبه هذا المعنى.

الصلاة أول ما تكون لطلب العلم ، لزيادة العلم بالله واليوم الآخر ، هذا هو الهدف الأكبر من الصلاة، وخاصة في ركنها الأعظم القيام وقراءة القرآن بتدبر ، لذلك أشد ما يكون الشيطان على العبد في هذا الأمر وهو أثقل شيء على الناس فلذلك تجد التقصير في هذا الأمر فاشيا، إذا صلى أحدهم لا يكاد يقرأ حتى الفاتحة وإن قرأ فبدون قلب.

وكيف نعلم أن الصلاة تحقق العلم والإيمان والذكر الذي يحقق إخلاص العبودية للّه رب العالمين ؟ علامة ذلك أن يوجد في القلب الافتقار إلى الله تعالى في كل لحظة ، أن يكون العبد كثير التضرع والابتهال والإلحاح في سؤال الله ؟ علامة ذلك أن يوجد في قلب العبد اليقين والإخلاص بأنه : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، اليقين بأنه لا حول ولا قوة لك إلا بالله.

كل كلمات الصلاة من التكبير إلى التسليم ترسخ هذا المعنى وتثبته في القلب.

وكلما زدت أيها العبد صلاة كلما زاد يقينك وعلمك بهذه المعاني ، هذا المفترض فإن لم يوجد فاعلم أنها ليست صلاة.

فإذا كنت كلما صليت كلما زدت افتقارا إلى الله وتضرعا إليه، إذا كنت كلما صليت زدت تعظيما وتقديسا لله وتنزيها وتسبيحا لله، إذا كنت كلما صليت زدت رؤية لتقصيرك وتفريطك في جنب الله، واجتهدت في الاستغفار أكثر وأكثر، فصلاتك حقا صلاة، وإلا فليست بصلاة، ويقال لك : ارجع فصل فإنك لم تصل.

ما لم تحصل على هذه النتيجة فصلاتك صلاة شكلية صورية ، صلاة جسد بلا روح إن المقصود الأول من الصلاة إقامة ذكر الله في قلب المصلي ، أي تحقيق توحيد وإخلاص العبودية لله رب العالمين.

ضابط هذا المقصد ومعناه هو أن يتحقق في القلب : فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ، أن ينقطع قلبك عما سوى الله، أن تتيقن في كل لحظة أنك على خشبة في لجة البحر تنادي يا رب يا رب ،أن تعلم أنك محاط بالضر في كل لحظة وفي كل حال لا تنفك من ذلك أبدا حتى وأنت في أيسر ما تكون.

أن ينطق قلبك قبل لسانك في كل لحظة بقول: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا من يجيب المضطر إذا دعاه، يا حيي يا قيوم برحمتك أستغيث اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله رب العرش العظيم، رب إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا كبيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي.

أن يكون حالك كما أخبر الله : فادعوا الله مخلصين له الدين، دعا ربه منيبا، إليه ضل من تدعون إلا إياه ، فإليه تجأرون.

أن تحذر من: ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون، مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه، نسي ما كان يدعو إليه، قال إنما أوتيته على علم عندي.

هذه الآيات وأمثالها تصور معنى التوحيد والإخلاص الذي يجب أن يقوم في قلب العبد في كل لحظة وفي كل حال، في السراء قبل الضراء، وفي الرخاء قبل الشدة، في اليسر قبل العسر ، وفي الصغير قبل الكبير، وفي اليسير قبل العسير.

الصلاة مهمتها تحقيق هذا المعنى في قلب المصلي، وتثبيته وترسيخه.

ومتى كان هذا المعنى موجودا حيا نابضا فهذه هي الصلاة التي ذكرت في القرآن ووصفها الله لعباده دواء لكل داء وعونا على الحياة في السراء والضراء، فكلما أحسست بضعف أو نقص إخلاص العبودية للّه فافزع إلى الصلاة وأن تكون بمفاتيحها كاملة.

❖ المقصد الثاني: المناجاة

الصلاة دخول على الله تعالى ووقوف بين يديه لا يشبهها أي عمل من الأعمال في هذا المعنى ، الصلاة حال مميزة وفريدة من بين أحوال العبد كلها في هذه الحياة الدنيا ، الصلاة وضع خاص شرعه الله لعباده لمن أراد الدخول عليه والوقوف بين يديه .

تذكر أنك حين تدخل في الصلاة حين تكبر تكبيرة الإحرام أنك انتقلت من حال إلى حال ، ومن عالم إلى عالم ، ومن مكان إلى مكان، تذكر هذا بيقين وتأكد أنه كذلك فالأحاديث صحيحة لا ريب في صحتها ، ومعناها قطعي لا مجال في تأويله أو صرفه عن ظاهره ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه أو إن ربه بينه وبين القبلة (البخاري عن أنس) ، وقال رسول اله صلى اللّه عليه وسلم: إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله قبل وجهه (البخاري عن ابن عمر) ، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يزالُ اللهُ عزّ وجلَّ مقبلاً على العبدِ وهو في صلاتِه ما لم يلتفت فإذا التفتَ انصرف عنه (أبو داود والنسائي عن أبي ذر) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : َإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ (الترمذي وصححه عن الحارث الأشعري) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أحدكم إذا قام يصلي فإنما يناجي ربه فلينظر كيف يناجيه (الحاكم عن أبي هريرة وهو في صحيح الجامع) وحديث (قسمت الصلاة) وهو في صحيح مسلم دليل واضح على المناجاة بين العبد وربه في الصلاة ، فينبغي إجلال هذه المخاطبة وتقديرها حقّ قدرها ، إنك متى استشعرت هذا المعنى فستدرك معنى الصلاة وعظيم شأنها ،أما من يغيب هذا المعنى عن قلبه ويسهو عنه فإنه لا يعرف قيمة الصلاة ولا يحس بعظمتها ، ولا يدرك لذتها.

و لو لم يكن في الصلاة إلا هذه لكفى بها حافزا لهذا الإنسان الضعيف العاجز الفقير أن يفزع إلى الصلاة وأن يجود بالنفس والوقت عليها.

والواقع أن لذة المناجاة التي يجدها المصلي واحدة من ثمار ومنافع الصلاة في الدنيا قبل الآخرة ، وإن كانت ليست كل المقصود من الصلاة.

وهذه اللذة والسعادة التي يجدها المصلي عظيمة وثمينة وغالية فكم بحث الناس عنها في المشرق والمغرب وبذلوا في تحصيلها الأموال الطائلة ، وأمضوا الأوقات الطويلة رغبة

في تحصيلها وهي أقرب إليهم من حبل الوريد، إنها الصلاة لكن ليس أي صلاة ، بل الصلاة بمفاتيحها كاملة.

لقد قال قائل أولئك القوم - ممن وجد حلاوة الصلاة ، وذاق لذة المناجاة - : إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه فإنهم في عيش طيب ، وقال آخر : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة ، وقال بعضهم: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف، هذه اللذة هي التي شمر إليها المشمرون واجتهد في تحصيلها المجتهدون، وخسر في الحصول عليها المغبون، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يا بلال أرحنا بالصلاة <أحمد وأبو داود> ، وقال صلى الله عليه وسلم : جعلت قرة عيني في الصلاة <أحمد والنسائي عن أنس>

❖ المقصد الثالث: الشكر

الصلاة حق العبودية لله تعالى يقوم بها من كان عبدا شكورا وبهذا الجواب نطق صلى الله عليه وسلم حين رأت عائشة رضي الله عنها شدة اجتهاده في الصلاة وكثرتها فقالت : كيف تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال صلى الله عليه وسلم : أفلا أكون عبدا شكورا.

والمعنى: إذا كان الله غفورا رحيما قد غفر لي ذنبي وتجاوز عني أفلا أقابل هذا العفو والمغفرة بالشكر والثناء على هذه النعمة العظمى نعمة المغفرة لما تقدم من الذنب وما تأخر؟ إن ذلك هو فعل أهل الكرم والنفوس السخية الندية التي تقدر الجميل حق قدره وتقابل الإحسان بالإحسان ، أما من قابل نعمة العفو والمغفرة ونعمة الصحة والعافية باللهو والغفلة والدعة والكسل أو بالمعصية والإساءة فهذا حري بأن يسلب هذه النعمة وتحل به النقمة والعقوبة ، إن العبد الشاكر هو الذي يعرف ربه حق المعرفة ويقدره حق قدره.

فأنت أيها العبد بين أمرين إما مغفرة تستوجب الشكر أو ذنوب تحتاج إلى استغفار ففي كل حال أنت مطالب بالصلاة لله رب العالمين في كل وقت.

أما من نقص علمه فتجده يستثقل حتى الصلوات المفروضة ويستطيلها إلى حد أن ينقرها نقر الغراب لا يطمئن فيها بركوع ولا سجود ولا يعي ما يقول فيها إن كان يقول شيئا.

فالصلاة هي أعظم عمل يتقرب به العبد إلى ربه ويتحبب إليه وعلى هذا فهي أعظم ما يقدمه العبد شكرا لمولاه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ الكوثر: ١ - ٢ ، ولو لم يكن للصلاة سوى هذا المقصد لكان كافيا أن تشغل وقت وحياة العبد الفقير إلى ربه المغمور بنعمه والمحاط بفضله والمأسور بمنته.

فتقرب أيها العبد الفقير إلى ربك بالصلاة شكرا له على نعمه ورجاء الزيادة التي وعد الله عباده الشاكرين ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ ﴾إبراهيم: ٧ ، وكن من القليل الذين قال عنهم ربهم ومولاهم : ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾سبأ: ١٣.

إن بعض الناس حين يحس بغمرة الفرح والنشوة بتجدد نعمة أو اندفاع نقمة لا يقع في نفسه تعبيرا عما فيها من الشكر إلا الصدقة بالمال ونحوه وهذا خير وعمل جميل ، لكن الصلاة قبله وفوقه بكثير، وكان هذا هو هدي سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه فإنه يبادر إلى الصلاة ويكثر منها حين تجدد نعم ربه عليه ومن أبرز ما حفظ لنا من هديه صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر صلاة الفتح : أي فتح مكة فقد صلى ثماني ركعات استغرقت بضع ساعات شكرا لله عز وجل على هذه النعمة العظمى.

ففي كل صلاة تصليها تذكر هذا المقصد وضمه للمقاصد الأخرى ليعظم أجر صلاتك ويعظم نفعها وأثرها على قلبك، وعند تجدد نعمة أو اندفاع نقمة فخصها بصلاة تدخل فيها على مولاك تشكره على عظيم نعمته عليك.

لو قضى العبد حياته كلها ساجدا لله لما قام بشكر سيده ومولاه ، ولكن ربنا غفور رحيم شكور حليم يرضى منا باليسير، قد رضي منا بما نقدر عليه وعفا عنا ما نعجز عنه أو يشق علينا فعله فاللهم لك الحمد أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.

والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد اقتران الشكر بالصبر ، والتأكيد على أن الاتعاظ والانتفاع بالآيات حاصل لمن كان كذلك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝٥﴾ إبراهيم: ٥ ، فهما الوجهان العمليان للعلم والإيمان، وهما ثمرة الإيمان للحالتين اللتين

يتقلب العبد بينهما في هذه الحياة ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له.

❖ المقصد الرابع: الصبر

الصلاة هي مصنع العلم والإيمان الذي يحصل به الصبر والثبات في هذه الحياة وقد أوصانا الله بهذا الأمر العظيم حين قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ البقرة: ١٥٣ ، وكانت الصلاة هي وصية الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في بداية التكليف بالرسالة والدعوة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ ق: ٣٩ - ٤٠ ، ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ الطور: ٤٨ - ٤٩ ، ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ ﴾ المزمل: ٢ □ ، ﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ المزمل: ٥ ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ ﴾ المزمل: ١٠ ، ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴾ الإنسان: ٢٣ - ٢٦.

مع بداية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وفي الأيام الأولى جاء فرض الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى من معه من المؤمنين ، وكان أول فرضها كما بينته آيات سورة المزمل : ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾ المزمل: ٢ - ٦ ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته الكرام سنة كاملة حتى تورمت أقدامهم ، ثم خففت هذه الصلاة بقوله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ المزمل: ٢٠ ، وبقي النبي صلى الله عليه وسلم على الفرض الأول.

فالصلاة هي عدة المسلم وسلاحه في هذه الحياة ، لايستطيع بدونها أن يعبد ربه وأن يستقيم على دينه ، ويبلغ رسالة ربه.

ومما يوضح هذا المقصد ويؤكده قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴾ المعارج: ١٩ - ٢٣ هذه الآيات تؤكد أن

المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ليسوا من هذا النوع من الناس ، بل هم على العكس من ذلك فهم إذا مسهم الشر صبورين ، وإذا مسهم الخير شكورين.

فمن مقاصد الصلاة المهمة التي يجب أن تكون حاضرة في قلب العبد أن من يصلي فإنه يحصل على القوة والثبات في هذه الحياة ، ويسلم من نكدها وكدرها فهو يعيش في واحة الإيمان وجنة الرضا في كل أحواله.

والصلاة هي وسيلة الصبر عن المعاصي والحماية من الشهوات كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾العنكبوت: ٤٥ ، ففي هذه الآية بين الله تعالى مقصدين من مقاصد الصلاة: الأول: أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والثاني: تحقق ذكر الله تعالى في القلب ، ونص سبحانه على أن المقصد الثاني أعلى وأكبر وأهم ، وذلك أن الأول ما هو إلا نتيجة وثمرة للثاني، ولو لم يكن للصلاة سوى هذا المقصد وهذه الفائدة والثمرة لكفى حافزا للحرص عليها والعناية بها.

إن الصبر وقوة التحمل وقوة الإرادة غالية وثمينة جدا ، وكثير من الناس يبحث عنها ولا يجدها ، فإذا علمت أنها في الصلاة علمت أن الصلاة غالية وثمينة فاحرص عليها لتستدرك حياتك ووقتك وتحافظ على جهودك وتبني مستقبلك في الدنيا وفي الآخرة.

إنه علاج مؤكد أكده أصدق القائلين، وهو علاج مجرب جربه آلاف الصالحين منذ آدم إلى يومنا هذا ، وكل من عرفه وذاق حلاوته ورأى نفعه لم يطق فراقه أو الصبر عنه، ولم يفرط فيه بقية حياته كلها.

إنها كلمة نوجهها لكل الذين أزعجهم وأقلقهم ضعف إرادتهم ، قلة صبرهم فأوقعهم في النقائص ، وقعد بهم عن بلوغ الفضائل، نقول لهم عليكم بالصلاة ففيها الدواء الناجح والعلاج الشافي، فنحن نصلي من أجل أن نصبر ، نصلي من أجل أن نفقه حقيقة وجودنا في هذه الحياة الدنيا وما بعدها من الحياة الأخرى فنتعامل مع أحوال الحياة في السراء والضراء بمواقف سديدة وآراء صائبة هذا من أهم مقاصد الصلاة.

جاء في أول سورة طه قول الحق تبارك وتعالى :﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ١٤﴾طه: ١٤ ، وقريبا من آخر السورة جاء قوله سبحانه :﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾طه: ١٢٣ - ١٢٤ فأولا بين سبحانه وتعالى أنه لا إله في

هـذا الوجـود سـواه ، ولأجـل هـذا فهـو وحـده لا شـريك لـه المستحق للعبوديـة ، ثـم بـين الطريـق إلى تحقيقهـا وهـو إقامـة الصـلاة ، فإقامـة الصـلاة يحقـق ذكـر الله تعـالى أي إخلاص العبودية له سبحانه وتعالى ، ثم بين أن تحقيق ذكره سبحانه هداية وأمان من الشقاء وأن من فرط فهو مستوجب للضلالة والشقاء والضنك في الحياة الدنيا والآخرة.

ثم ختم سبحانه السورة بالأمر بالصلاة وبين أنها الطريق إلى سعادة الدنيا والآخرة فقال تعـالى : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ طه: ١٣٠ - ١٣٢ ، فجمعت هذه الآيات أطـراف هـذا المقصد فبينت أن الطريق إلى الصبر والرضا هو الصلاة في كل الأوقات ، وأن من فعل ذلك لم يغتر بمـا فـتن النـاس بـه مـن زهـرة الحيـاة الـدنيا ولهوهـا ولعبهـا ومتعهـا الزائلـة ، وأكدت الآيات أن من قام بالصلاة وصبر عليها فإن الله تكفل لـه بالحيـاة الكريمـة الطيبة ورزقه مكفول فلن يحتاج إلى أحد مـن الخلـق أبـدا ، والـرزق كلمـة عامـة تشـمل كل ما يحتاجه الإنسان في أمور معاشه.

❖ المقصد الخامس: التضرع والافتقار والانكسار

مـن أهـم مقاصـد الصـلاة إظهـار الخضـوع والخشـوع والتـذلل والانكسـار بـين يـدي الله تعـالى ، سـئل الإمـام أحمـد عـن سـر وضـع اليـدين علـى الصـدر حـين القيـام في الصـلاة فقال: ذل بين يدي عزيـز ، وقـال ابـن حجـر: قـال العلمـاء : الحكمـة في هـذه الهيئـة أنهـا صفة السائل الذليل وهو أمنع من العبث وأقرب إلى الخشـوع (فتح الباري ٢/٢٢٤) هـذا مـا يجـب أن تستشعره حين تقوم في الصـلاة، إنـه الـذل والخشـوع بـين يـدي العزيـز الجبـار الواحـد القهار، تذكر من أنت أيها العبـد وبـين يـدي مـن تقـف يظهـر لـك حقيقـة موقفك،لـذلك كـان الصـالحون حين يريدون الدخول في الصلاة يشعرون بالخشية والهيبة والوجل لأنهـم يعلمون ما معنى الصلاة ، وبين يدي من سيقفون ومن يناجون ويخاطبون.

قال مجاهد رحمه الله: كانوا إذا قام أحدهم يصلي يهاب الـرحمن أن يشـد بصـره إلى شيء أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشأن الدنيا إلا ناسيا مـا دام في صلاته (تعظيم قدر الصلاة ١/١٨٨) الخشـوع أمـر عظيم شـأنه ،سـريع فقـده ،نـادر وجـوده

قال النبي صلى الله عليه وسلم: أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع ، حتى لا ترى فيها خاشعا <الطبراني في الكبير عن شداد بن أوس> ، وفي فضل الخشوع ووعيد من تركه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات افترضهن الله تعالى ، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل ، فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له وإن شاء عذّبه < أبو داود عن عبادة بن الصامت وهو في صحيح الجامع> .

إن الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده بالشدائد ليس إهانة ولا تعذيبا ، بل هو رحمة بهم لكي يخشعوا ويذلوا ويخضعوا ويستكينوا ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ المؤمنون: ٧٦ ، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام: ٤٢ - ٤٣ ، والعبد الموفق هو من يفقه هذا الدرس ويفهم سر الابتلاء ويعلم ما يريده الله من عباده، إنه يريد منهم أمرا واحدا أن يفروا إليه ويلجأوا إليه سبحانه ويقفوا بين يديه الساعات الطوال وهذا حق العبودية لله سبحانه وتعالى على خلقه .

إن كثيرا من الخلق يستكبر عن هذه العبودية ويتأخر عنها إلى أن يصل إلى طريق مسدود ويشرف على الهلاك هناك يتذكر أنه عبد ضعيف فقير فيلجأ إلى ربه ويخلص له العبودية، وليت هذا اليقين والإخلاص يدوم بل إنه مؤقت يزول بزوال المؤثر فما إن يزول حتى يعود إلى شركه مرة أخرى ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ العلق: ٦ - ٧ .

إن الإنسان مادام في عافية وأمن ورخاء فإنه ينسى فقره وشدة حاجته إلى ربه، ولو تفكر في حاله لعلم أنه لا شيء، وأنه في أي لحظة يمكن أن تنقلب حاله فعندها يدرك أنه عبد ضعيف عاجز، فقير إلى عون ربه ، محتاج إلى عفوه ورحمته، وقد أكد الله هذا المعنى في القرآن كثيرا من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ فاطر: ٣ ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ الملك: ٢١ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ الملك: ٣٠ ، ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ الواقعة: ٦٣ - ٦٥ ، ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ الواقعة: ٦٨ - ٧٠ ، ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ

جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ ﴾الإسراء: ٦٨ ﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾الأعراف: ٩٧ - ٩٩.

إن اللّه عز وجل يريد من عباده أن يعرفوا حقيقة فقرهم ، وأن يقوموا بواجب العبودية له سبحانه ، فيحصل منهم الخضوع والاستكانة والتضرع إليه سبحانه ، وأعظم ما يكون هذا الخشوع وتلك الاستكانة في الصلاة ، لذلك كانت الصلاة هي مفزع الحبيب صلى اللّه عليه وسلم حين الشدائد في الكسوف والخسوف وفي القحط والجدب وفي كل غزواته، وفي جميع المواقف الصعبة .

لقد كان النبي صلى اللّه عليه وسلم في مثل هذه الحالات يفزع إلى الصلاة وليست أي صلاة بل إنها صلاة من نوع خاص لا يطيقها إلا الأقوياء ممن تربى على الصلاة تربية عميقة طويلة وجاهد في اللّه حق جهاده ، أما من لم يكن كذلك فإنه لا يطيق هذا العلاج ولا يمكنه أن يستفيد منه لا في الشدة ولا في الرخاء .

الصلاة كلها تضرع من فاتحتها إلى خاتمتها ويختص السجود بإفضاء العبد بحاجاته إلى ربه وهذا بعد أن يمر بمراحل سابقة فيها تعظيم للّه عز وجل واعتراف بحقه يبدأ بدعاء الاستفتاح ثم ما تضمنته الفاتحة من المعاني العظيمة ثم ما يقرؤه من القرآن ثم التسبيح في الركوع ثم الحمد في الاعتدال ثم استفتاح السجود أيضا بتعظيم اللّه وبعدها ترفع الحجب وتفتح الأبواب فيفضي العبد بما في صدره وما يريده من ربه فعندها يستجاب الدعاء ويسمع النداء، ويكشف الكرب ، ويزول البلاء.

❖ المقصد السادس: الثواب والعقاب

هذا المقصد هو (مقصود المقاصد) فكلها تسعى لتحقيقه والحصول عليه فما العلم والمناجاة والشكر والصبر والتضرع إلا وسيلة إلى الفوز بالثواب والنجاة من العقاب ، وما يحصل من مكاسب في الدنيا بسبب الصلاة ما هو إلا نوع من الثواب عجل للمصلي في دنياه وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا.

نصوص ثواب المحافظة على الصلاة ، وعقاب التهاون بها وتركها كثيرة ، ولم أذكر هنا شيئا اكتفاء بما ذكرته في معجم مقاصد الصلاة.

وإن أعلى الثواب وأوله وآخره رضى اللّه سبحانه وتعالى هذا هو مقصود الصلاة الأكبر وغايتها العظمى والذي كان النبي صلى اللّه عليه وسلم يؤكد عليه في كل سجدة من سجداته حين كان يدعو بقوله: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك.

رضى اللّه تعالى عن العبد هو باب كل خير وهو البداية والنهاية متى حصل عليه نال كل شرف وفضيلة وخير ،وما أنواع الثواب الأخرى إلا فروع وثمار لرضى اللّه تعالى ، فالمغفرة ومحو الذنوب وتكفير السيئات ورفعة الدرجات ووجوب الجنات ، والوقاية من النار هو ثمرة ونتيجة رضا اللّه تعالى .

وأعظم أمر يحقق رضا اللّه تعالى هو إخلاص العبودية له سبحانه وهو فرع عن العلم العميق الدقيق باللّه تعالى وهو ما تحققه الصلاة بمفاتيحها التي أعظمها قراءة القرآن بتدبر قراءة مكثفة كثيرة غزيرة.

ومن فاته هذا الثواب فقد خسر وخاب ، من فاته رضى اللّه سبحانه وتعالى فقد حل به سخطه وغضبه وهو حري بعقابه ونقمته وهذا جزاء المستكبرين عن عبودية ربهم وخالقهم ومالكهم ، جزاء الذين لم يكونوا من المصلين .

❖ فوائد ليست مقاصد

إن فوائد الصلاة وثمارها في الدنيا لا حصر لها ذلك أنها تقوم بصناعة هذا الإنسان صناعة متقنة محكمة ومن ثم تتعدد وتتنوع المنافع والفوائد التي تحققها تلك الصناعة، وأذكر بعض هذه الفوائد إجمالا وأؤكد أنها ليست مقاصد بل هي فوائد وثمار ، هي جوائز وهبات ومنافع يسوقها اللّه لعبده الذي شرح صدره للصلاة ويسرها له ، والعبد الصالح يستعين بهذه الهبات والفوائد على طاعة اللّه وذكره ، يستغلها ويستثمرها في الخير ، ومن ذلك ما يلي :

- الوقاية من الأمراض النفسية
- الشجاعة والإقدام
- النشاط والحماس وقوة الإرادة
- الصبر والمثابرة وقوة التحمل
- الحلم والأناة والرفق

- سعة الرزق .
- قوة الإرادة
- حسن الخلق
- إدارة الوقت بفاعلية
- توفير المال والنجاح في إدارته
- النوم المريح وتخفيض عدد ساعاته
- قوة التركيز والانتباه
- النصر في جميع الميادين.
- النجاح في الدراسة والعمل.
- السعادة وشرح الصدر
- زيادة قوة الذاكرة .
- قوة البدن وصحته

وهذه الفائدة الأخيرة فيها العديد من المؤلفات ، ولا أنصلح المصلي بالاشتغال بذلك لأن القوة حاصلة بإذن الله علمت أو لم تعلم ، ولأن الاشتغال بذلك يضعف تحقيق المقاصد ويصرف النية عن الأصل من مشروعية الصلاة ، والمطلوب هو التركيز على المقاصد وتحصيل الإيمان العميق بها ، مع الاجتهاد في تحقيق مفاتيح الصلاة كاملة فإنها متى تحققت تحقق ما بعدها بعون الله تبارك وتعالى.

وربما تساءل البعض فقال: نرى كثيرا من المصلين لم تحقق لهم الصلاة القوة البدنية فانتشرت بينهم أمراض يعزى سببها إلى قلة الحركة ونقص المرونة ، وصاروا يحتاجون لتحصيلها إلى نواد صحية أو برامج رياضية .

والجواب أنه لتحقيق الصلاة للقوة البدنية لا بد من أمرين:

الأول: الكيفية الصحيحة وهذا مهمل عند كثير من المصلين خاصة في كيفية الركوع والسجود والجلوس.

الثاني: الكمية ، فالسرعة في أداء الصلاة وترك الطمأنينة فيها وعدم تطويل القيام والركوع والسجود والجلوس يجعل الصلاة لا تحقق للبدن الصحة والقوة.

المفتاح الثاني: حفظ هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة

إن حفظ هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة أمر لا بد منه ، فبعض ما ورد لازم لصحة الصلاة وتركه يؤدي إلى بطلانها ، وبعضه مكمل للصلاة مفيد في رفعة درجاتها وكثرة ثوابها.

ذكرت هنا مختصرا لكيفية صلاة ركعتين ليسهل حفظه والعمل به.

وقد أقتبسته من كتاب صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لعبد العزيز بن باز ، وكتاب مختصر صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لناصر الدين الألباني.

❖ ١- القيام

- يستفتح الصلاة بقوله : " الله أكبر " - ويرفع يديه مع التكبير أو قبله أو بعده كل ذلك ثابت في السنة
- ويرفعهما ممدودتا الأصابع ويستقبل ببطون كفيه القبلة ، ولا يفرج بين أصابعه ولا يضمهما.
- ويجعل كفيه حذو منكبيه وأحيانا يبالغ في رفعهما حتى يحاذي بهما أطراف أذنيه
- ثم يضع يده اليمنى على اليسرى عقب التكبير
- يضع اليمنى على ظهر كفه اليسرى وعلى الرسغ والساعد
- وتارة يقبض باليمنى على اليسرى ويضعهما على صدره
- وينظر في قيامه إلى موضع سجوده ولا يلتفت يمينا ولا يسارا فإن الالتفات اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد
- ولا يجوز أن يرفع بصره إلى السماء
- ثم يستفتح القراءة ببعض الأدعية الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة أشهرها : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك
- ثم يستعيذ بالله تعالى والسنة أن يقول تارة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وتارة يقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان .

- ثم يقول سرا في الجهرية والسرية : بسم الله الرحمن الرحيم
- ثم يقرأ سورة (الفاتحة) بتمامها والبسملة منها وهي ركن لا تصح الصلاة إلا بها
- والسنة في قراءتها أن يقطعها آية آية يقف على رأس كل آية فيقول : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف ثم يقول : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف ثم يقول : ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف ثم يقول : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ثم يقف وهكذا إلى آخرها وهكذا كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم كلها يقف على رؤوس الآي ولا يصلها بما بعدها وإن كانت متعلقة المعنى بها .
- ويسن أن يقرأ بعد الفاتحة سورة أخرى
- والسنة إطالة القراءة في الركعة الأولى أكثر من الثانية
- والسنة أن يرتل القرآن ترتيلا لا هذا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفا حرفا ويزين القرآن بصوته
- فإذا فرغ من القراءة سكت سكتة لطيفة بمقدار ما يتراد إليه نفسه ثم يرفع يديه على الوجوه المتقدمة في تكبيرة الإحرام ثم يكبر ويركع

❖ ٢- الركوع

- يركع بقدر ما تستقر مفاصله ويأخذ كل عضو مأخذه
- ويضع يديه على ركبتيه ويمكنهما من ركبتيه ويفرج بين أصابعه كأنه قابض على ركبتيه
- ويمد ظهره ويبسطه حتى لو صب عليه الماء لا ستقر.
- ولا يخفض رأسه ولا يرفعه ولكن يجعله مساويا لظهره
- ويباعد مرفقيه عن جنبيه
- ويقول في ركوعه : " سبحان ربي العظيم " ثلاث مرات أو أكثر
- ويستحب أن يقول مع ذلك " سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي .
- ومن السنة أن يسوي بين الأركان في الطول فيجعل ركوعه وقيامه بعد الركوع وسجوده وجلسته بين السجدتين قريبا من السواء

❖ ٣-الاعتدال

- ثم يرفع صلبه من الركوع
- ويقول في أثناء الاعتدال : سمع الله لمن حمده
- ويرفع يديه عند الاعتدال على الوجوه المتقدمة
- ثم يقوم معتدلا مطمئنا حتى يأخذ كل عظم مأخذه
- ويضع يديه على صدره كما فعل في القيام.
- ويقول في هذا القيام : " ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد " وإن زاد بعد ذلك : أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما أعطيت ولما معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد " فهو حسن.
- ويسوي بين هذا القيام والركوع في الطول كما تقدم

❖ ٤-السجود

- ثم يخر إلى السجود مكبرا واضعا ركبتيه قبل يديه إذا تيسر ذلك فإن شق عليه قدم يديه قبل ركبتيه
- فإذا سجد اعتمد على كفيه وبسطهما ، ويضم أصابعهما
- ويوجههما إلى القبلة
- ويجعل كفيه حذو منكبيه
- وتارة يجعلهما حذو أذنيه
- ويجافي عضديه عن جنبيه وبطنه عن فخذيه وفخذيه هن ساقيه
- ويرفع ذراعيه عن الأرض وجوبا ولا يبسطهما لقول النبي صلى الله عليه وسلم : اعتدلوا في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب.
- ويمكن أنفه وجبهته من الأرض
- ويمكن أيضا ركبتيه
- وكذا أطراف قدميه

- وينصبهما ويستقبل بأطراف أصابعهما القبلة ويرص عقبيه
- ويجب عليه أن يعتدل في سجوده وذلك بأن يعتمد فيه اعتمادا متساويا على جميع أعضاء سجوده وهي : الجبهة والأنف معا والكفان والركبتان وأطراف القدمين
- ويقول فيه : " سبحان ربي الأعلى " ثلاث مرات أو أكثر
- ويستحب أن يقول مع ذلك : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي.
- ويستحب أن يكثر الدعاء فيه فإنه مظنة الإجابة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم <مسلم عن ابن عباس> ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء <مسلم عن أبي هريرة>
- ويجعل سجوده قريبا من ركوعه في الطول كما تقدم

❖ ٥- الجلوس

- ثم يرفع رأسه مكبرا
- ثم يجلس مطمئنا حتى يرجع كل عظم إلى موضعه
- ويضع الذارعين على الفخذين في هذه الجلسة وفي جلسة التشهد.
- ويفرش رجله اليسرى فيقعد عليها
- وينصب رجله اليمنى ويستقبل بأصابعها القبلة
- ويجوز الإقعاء أحيانا وهو أن ينتصب على عقبيه وصدور قدميه
- ويقول في هذه الجلسة : " اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني واجبرني "
- وإن شاء قال : " رب اغفر لي رب اغفر لي "
- ويطيل هذه الجلسة حتى تكون قريبا من السجود.
- ثم يسجد السجدة الثانية ويصنع فيها كما صنع في الأولى
- فإذا رفع رأسه من السجدة الثانية وأراد النهوض إلى الركعة الثانية كبر
- ويجلس جلسة خفيفة مثل جلوسه بين السجدتين ،وتسمى جلسة الاستراحة وهي مستحبة في أصح قولي العلماء وإن تركها فلا حرج وليس فيها ذكر ولا دعاء.

- ثم ينهض قائما إلى الركعة الثانية معتمدا على ركبتيه إن تيسر ذلك وإن شق عليه اعتمد على الأرض بيديه .

❖ ٦- التشهد

- فإذا فرغ من الركعة الثانية قعد للتشهد ، ويجلس مفترشا كما سبق بين السجدتين - لكن لا يجوز الإقعاء هنا
- ويضع كفه اليمنى على فخذه وركبته اليمنى وذراعيه على فخذيه.
- ويبسط كفه اليسرى على فخذه وركبته اليسرى
- ولا يجوز أن يجلس معتمدا على يده وخصوصا اليسرى
- ويقبض أصابع كفه اليمنى كلها ، ويضع إبهامه على إصبعه الوسطى تارة ، وتارة يحلق بهما حلقة.
- ويشير بإصبعه السبابة إلى القبلة ويرمي ببصره إليها ويحركها يدعو بها من أول التشهد إلى آخره
- ثم يقول : " التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله "
- ويصلي بعده على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : " اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد
- ثم يتخير في هذا التشهد من الدعاء الوارد أعجبه إليه فيدعو الله به
- وأن يستعيذ بالله من أربع يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال
- ثم يسلم عن يمينه وعن يساره

المفتاح الثالث: قراءة القرآن بتدبر

قراءة القرآن بتدبر أحد المفاتيح الرئيسة لإقامة الصلاة، ولا تصح الصلاة بدون قراءة الفاتحة وهي أم القرآن ، وهي الحد الأدنى ثم المجال مفتوح لمن شاء الزيادة وعلو المكانة.

إن من أكبر أسباب ضعف الصلاة وعدم حصول ما أخبر الله تعالى عنها من تأثير على القلب والنفس هو إهمال هذا المفتاح العظيم من مفاتح إقامة الصلاة.

الكثير من الناس يصلي الصلوات المفروضة وبعض النوافل لكن لو نظرت إلى صلاته لم تجد فيها ما يمكن أن يصدق عليه اسم الصلاة ، بل هي صلاة سريعة خالية من أي قراءة بقلب، ولو كان هذا الاستعجال في أداء هذه الصلاة لأمر ضروري وطارئ لكان في ذلك عذر، لكن الملاحظ أنه ينتهي من هذه الصلاة ليشتغل باللهو واللعب والقيل والقال ، ولو كان هذا الأمر فترة من العمر ثم يصلح الواحد من شأنه أيضا لكان الأمر أهون لكن الواقع أن مثل هذه الصلاة هي الغالبة على مختلف الأعمار من أطفال وشباب وشيب ذكورا وإناثا ، ولو كان الواحد من هؤلاء يعترف بتقصيره وتفريطه لكنت ترجو أن يصلح حاله يوما ما لكنه يصلي مثل هذه الصلاة ويرى أنه قد بلغ الكمال وقضى ما عليه من واجب العبودية لله رب العالمين والأخير هو أخطر هذه الأمور.

إن تضييع هذا المفتاح له صورتان:

الأولى : قلة قراءة القرآن في الصلاة .

الثانية : الاستعجال في القراءة وعدم تدبر ما يقرأ .

القرآن روح الصلاة ، فصلاة بلا قرآن كبدن بلا روح ، والقرآن نور الصلاة ، فصلاة بلا قرآن كبيت مظلم لا تبصر فيه شيئا ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ الشورى: ٥٢ ، الصلاة لا تسمى صلاة إذا لم يكن فيها روحها ونورها وهو القرآن ذي الذكر.

ولكي تكون قراءة القرآن في الصلاة روحا ونورا لا بد من تطبيق مفاتيح تدبر القرآن العشرة ، والاجتهاد في ذلك غاية الاجتهاد والصبر والمثابرة إلى أن يصل المصلي إلى مرحلة يذوق فيها حلاوة القرآن ولذة مناجاة الرحمن بكلامه.

والبيان العملي لذلك مفصل في كتاب مستقل بعنوان : (مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة) ، لكن أذكِّر هنا بأمور منها :

أولا : الصلاة عمود الدين، والفاتحة عمود الصلاة ، فالفاتحة إذا عمود عمود الدين ، وجاء في الصحيح : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ، فيجب العناية بقراءة الفاتحة في كل ركعة ، واستفد من تدريب : (الفاتحة مفتاح النجاح في الحياة) في كتاب (القراءة بقلب) ، احرص على هذا التدريب ليفتح الله لك أبواب الخيرات والبركات في الدنيا ، وتنال أعظم الدرجات والمنازل العالية في الآخرة ، على المصلي أن يستثمر هذا التكرار في إحياء القلب وزكاة النفس وجعل الصلاة تعين على الحياة.

ما شرعت قراءة الفاتحة في كل ركعة من كل صلاة إلا لخطورتها وشدة حاجة العبد إليها ، ومن تأمل في معانيها تبين له ذلك يقول محمد بن عبد الوهاب: فإذا تأمل العبد هذا وعلم أنها نصفان نصف لله ونصف دعاء يدعو به لنفسه ، وتأمل أن الذي علمه هذا الدعاء هو الله تبارك وتعالى ، وأمره أن يدعوا به ويكرره في كل ركعة وأنه سبحانه من فضله وكرمه ضمن إجابة هذا الدعاء إذا دعاه بإخلاص وحضور قلب تبين ماذا أضاع كثير من الناس اهـ

ثانيا : قراءة القرآن في صلاة في ليل بتحزيب وجهر وتكرار وترتيل وربط من أهم الأمور التي تعين على تحقيق مفاتيح إقامة الصلاة ذلك أنها تعمق تأثير القرآن في القلب فيزداد علمه ويقينه ويزداد خشوعه وإخباته.

ثالثا : يجب أن تكون قراءتك مفسرة حرفا حرفا كما ورد هذا في وصف قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقراءة صحابته رضي الله عنهم ، وهذا يكون بتقطيع القراءة آية آية ، التوقف عن القراءة تماما عند رأس كل آية أو جملة تامة ثم التفكر في معاني ما قرأت تتفكر فيها من جميع وجوهها ،تحاول أن تتذكر ما تعرفه من معانيها ، تحاول أن تربطها بما دلت عليه قدر استطاعتك وعلى حد علمك، تكلم نفسك وتجيبها

كأنك تفسر الآيات لشخص آخر ، تفسر القرآن آية آية جملة جملة تفسره لنفسك حسبما يفتح الله به عليك وما أشكل فتراجع تفسيره بعد الصلاة.

رابعا: إذا مررت بآية فيها تسبيح قف وسبح الله تعالى وعظمه ، وإذا مررت بآية فيها وعد ورحمة فقف واسأل الله من فضله ، وإذا قرأت آية فيها وعيد فقف وتضرع إلى الله تعالى أن يعيذك من هذا العذاب، وهكذا في كل القراءة ، فمن يقرأ بهذه الصفة يزيد تدبره وعمق فقهه لما يقرأ ، ويناجي الله بقراءته فيزداد قربه منه سبحانه فيكون حريا بأن يعطى ما سأل وأن يعاذ مما استعاذ منه.

خامسا: لا يكن همك آخر السورة ولا آخر الوجه أو آخر الموضوع والقصة بل همك فهم وفقه ما تقرأ حرفا حرفا كلمة كلمة ، لا تلزم نفسك بإنهاء السورة أو الوجه أو المقطع قبل أن تركع بل اقرأ القرآن آية آية وحيثما انتهى الوقت المخصص للقراءة في الركعة فاركع حيثما كنت وأينما وصلت.

إن ربط مقدار القراءة بالوقت من أهم الأسباب المعينة على تحقيق هذا المبدأ المهم من مبادئ قراءة القرآن بتدبر وتفكر، أو تحدد قدرا من الآيات أو الأوجه لكل ركعة وتعطيه الوقت الذي يتسع لقراءته بتمهل وتفكر.

قد يقول قائل إذا كنت سأقرأ بهذه الطريقة فسوف يطول بي المقام ولن أستطيع ختم القرآن إلا في سنة أو أكثر ، فنقول: أولا: ليس المهم ختم كل القرآن وإنما المهم فقه القرآن وتدبره ، وثانيا: نقول ليس الأمر كذلك بل هو يسير على من يسره الله عليه ، وحين يتعود القلب على هذه الطريقة تسهل عليه ويمكنه الجمع بين القراءة وبين التدبر والتسبيح والدعاء ، لكن ربما في البداية يكون الأمر صعبا على البعض ، أقول هذا لأني سمعت من يشكك في حديث حذيفة وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ذات ليلة بسورة البقرة وآل عمران والنساء في ركعة وأنه إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بآية فيها وعد وقف يسأل ، وإذا مر بآية فيها وعيد وقف يستعيذ، والحديث في صحيح مسلم، ويتعجب كيف قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه السور الطوال في ركعة واحدة بهذه الطريقة فالجواب ما ذكرت وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

سادسا: كلما كثرت قراءة القرآن في الصلاة كانت أعظم بركة وأكثر نورا وروحا وأقوى في تحقيق العبودية لله تعالى، وقوة تثبيت ذكره سبحانه في القلب وأقوى في تقوية الإيمان واليقين ، لكن يجب ألا يكون طول القراءة وكثرتها على حساب التدبر والتفكر بل يجب تطبيق كل مفاتيح التدبر.

سابعا: ألا يكون طول القراءة على حساب الركوع والسجود بل يجب التسوية بينها فلكل ركن نصيبه ، فالصلاة بهذا الترتيب: أولا القرآن وما يثمره من العلم التفصيلي العميق بالله واليوم الآخر ، ثم الركوع لتعظيم الرب وإجلاله وتقديسه امتثالا لما جاء في القرآن وتطبيقا له وعملا به، ثم التضرع في السجود افتقارا إلى الله واستغاثة بالله تعالى وطمعا في حصول مرضاته، أما الميل إلى أحد هذه الجهات الثلاث دون غيرها فيحدث نقصا في الصلاة وتشويها لها وتقليلا لثمرتها وفائدتها ونفعها.

ثامنا: كل ما ورد عن السلف في تحزيب قراءة القرآن فهو قراءته في صلاة الليل وما ورد عنهم سوى ذلك فهو زيادة على هذا الأصل ، أما الاقتصار على تحزيب قراءة القرآن خارج الصلاة فهو من فعل بعض المتأخرين ممن خفي عليهم العلم بهذه المسألة ، أو بسبب الكسل عن قراءة القرآن في صلاة فاختاروا الأسهل.

إن المتأمل في صلاة الناس اليوم يجد التطفيف الحاد في قراءة القرآن في الصلاة ، فالصلاة المفروضة تكون في حدود سبع دقائق من التكبير إلى التسليم ، يستوي في ذلك كل الصلوات الخمس دون تمييز ، بينما لو نظرنا إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر لوجدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطيل صلاة الظهر كما جاء في الصحيحين : أن صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب إلى البقيع فيقضي حاجته ثم يأتي منزله ثم يتوضأ ثم يأتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الأولى مما يطولها، وجاء في حديث آخر أنه يقرأ في الظهر بقدر سورة ألم تنزيل السجدة ، وأما صلاة الفجر فكان يقرأ فيها بطوال المفصل.

لست أدعو إلى تطويل الصلاة والناس لا تطيق ذلك بل السنة في الصلوات المفروضة أن الأمام يقرأ حسب ما يطيقه الناس ولا يؤدي إلى مللهم ونفورهم من الصلاة ، لكن يجب أن يعلم الناس أن هذا سبب نقصهم وضعفهم ، وأن يربى الناس على الصلاة التي تمدهم بالحياة بالقوة والعافية ، الصلاة التي تصلح جميع أحوالهم ويكون هذا بنشر

العلم بهذه القضية وإشاعتها على أوسع نطاق وفي أعمق عمق تصل إليه، هذا هو أفضل وأعلى طريق للإصلاح والتربية والتغيير.

وإذا كانت القراءة في الصلوات المفروضة يراعى فيها عامة الناس ، فهذا يؤكد على كل راغب في الخير أن يعوض هذا النقص في قراءته في صلاة التطوع.

المفتاح الرابع : التوحيد

التوحيد هو لب الصلاة وسر مشروعيتها ، فما شرعت الصلاة إلا لإقامة وتثبيت توحيد الله تعالى في النفوس ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾طه: ١٤ وتجد التوحيد في الصلاة كلها ، بل وفي النداء لها أذانا وإقامة.

التوحيد جاء ذكره في كل أقوال الصلاة إما نصا ولفظا أو ضمنا.

ففي دعاء الاستفتاح : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ، سبحانك الله وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ، والقرآن ومنه الفاتحة كله توحيد ، والتكبير في كل انتقال في الصلاة هو توحيد ، والتسبيح والاستغفار والدعاء كله متضمن للتوحيد ، وفي التشهد ينطق المصلي بالتوحيد : أشهد ألا إله إلا الله، فالمصلي عليه أن يتفكر في هذا المعنى جيدا ويركز عليه في الصلاة كلها فإن فعل ذلك استفاد من هذا المفتاح العظيم من مفاتيح الصلاة وكانت صلاته نورا .

أما إن كان يردد التوحيد بلسانه دون وعي لما يقول في صلاته ثم تجد حياته تخالف ما يقوله في صلاته فهذا قد ضيع هذا المفتاح ولم يستفد منه فتكون صلاته مظلمة معتمة لا إشراق فيها ولا حياة ، فكل صلاة خلت من التوحيد فقد انطفأ نورها وذهب بريقها وصارت صلاة جسد بلا روح.

المفتاح الخامس: التكبير

الله أكبر أول كلمة تفتتح بها الصلاة ، وقبل ذلك يفتتح بها النداء لهذه الصلاة في الأذان والإقامة.

هذه الجملة هي خلاصة الدين خلاصة التوحيد الله أكبر من يقولها بصدق بقلب عالما بعمق معناها مستحضرا دلالاتها فإنه الموحد المؤمن الولي، هذه الكلمة نكررها في الصلوات المفروضة وحدها مئة وعشر مرات في اليوم يضاف إلى ذلك نوافل الصلاة ، وفي الأذان والإقامة والتكبير بعد كل صلاة وعند النوم، والتكبير المطلق.

الله أكبر نقولها تعظيما لله عز وجل ، واعترافا بأنه أكبر من كل شيء ، نقولها شكرا لله على ما هدانا وأولانا من النعم ، وما لم يوجد هذا المعنى في القلب حين ينطق اللسان بكلمة (الله أكبر) فإنه تكبير ناقص.

تفكر وأنت تصلي في سر تخصيص هذه الكلمة دون غيرها لتكون مع الانتقال بين أفعال الصلاة، ما شرعت هذه الكلمة بهذه الكثرة وفي هذه العبادة العظيمة وغيرها من العبادات إلا لتأكيد معناها وترسيخه في القلب فتحدث فيه الخشية والرهبة والخوف.

مع كل انتقال في الصلاة تعلن أن الله أكبر ، وحين تقولها وأنت مدرك لمعانيها فإن هذا التكرار لهذه الكلمة كفيل بتعميق الإيمان في القلب وحفظه من كل شر وطرد كل شيطان .

هذه الجملة مكونة من كلمتين: (الله) ، (أكبر) وهي تعني أن الله سبحانه أكبر من كل شيء وهو وحده المستحق للعبادة دون سواه من الخلق.

حين يكرر المسلم هذه الكلمة كل هذا التكرار فإن هذا يؤدي لتعميق معناها ومن ثم العمل بمقتضاها ، وحين يحصل خلاف ذلك فلنعلم أنه تكبير بدون قلب.

وإن مما يحيي هذه الكلمة في النفوس أن تطبق عليها مفتاح الربط ، فتربط بها عددا من المعاني الدالة عليها مثل: الله أعلى ، الله أعز ، الله أحد ، فكلما قلت : الله أكبر تذكرت هذه المعاني ، ثم تنويع هذا الربط بين فترة وأخرى ، ومعاهدته باستمرار لئلا يضعف أو ينسى .

المفتاح السادس: التسبيح

تعظيم الله تعالى يكون في الصلاة كلها، لكنه في الركوع أخص لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: فأما الركوع فعظموا فيه الرب <مسلم عن ابن عباس> ، فالركوع هو محل التعظيم والتقديس والإجلال والتنزيه.

وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم كلمات عظيمه جليلة تحقق هذا المقصد من ذلك: سبحان ربي العظيم، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربي خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين.

فعلى المصلي أن يحفظ هذه الكلمات وأن يتفقه في معناها، وأن يرددها في الركوع بقلب حتى تزرع في قلبه عظمة الله وتقديسه وخشيته وإجلاله.

وهذا التعظيم هو اعتراف بعظمة الله وإقرار به، ومدح وثناء على الله تعالى ، ومناجاة لله بهذه الكلمات ابتغاء رحمته ومحبته ورضوانه.

والمعظم لله تعالى بهذه الكلمات ، الذي يقرؤها بقلب يصل بعد فترة من المجاهدة إلى مرتبة الإحسان وهي أن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه.

ومن المهم جدا حين قراءة هذه الكلمات أن يقولها بتفخيم مع المد والربط ليكون الثناء عميقا وقويا يثبت بالقلب.

تذكر أنه كلما زاد مقدار حفظك التربوي للقرآن والسنة كلما زاد إيمانك بالله تعالى وزاد تعظيمك وإجلالك وتقديسك لربك.

قف عند كل آية في القرآن ذكر فيها اسم الله وتأمل فيها طويلا فهذا يجعل تسبيحك في الركوع أكثر خشية وإجلالا ومحبة لله سبحانه وتعالى.

المفتاح السابع : التحميد

حمد اللّه والثناء عليه بما هو أهله وبما يستحقه من عظيم الثناء والتمجيد في الصلاة كلها، وخاصة في سورة الفاتحة ، وقد خصص هذا الركن من أركان الصلاة للحمد خاصة دون غيره كما هو المعلوم من صفة صلاة النبي صلى اللّه عليه وسلم، فقد شرع لأمته في الركن عددا من المحامد يحسن بالمصلي أن يتعلمها، يحفظها لفظا ومعنى وينوع بينها ويكررها ويكثر تكرارها ويطيل هذا الركن خاصة في صلاة النافلة.

حمد اللّه تعالى له جهتان:

الأول: حمد اللّه على صفاته وأسمائه وأفعاله.

الثاني: حمد اللّه على نعمه وآلائه وبره وإحسانه.

وحمد اللّه لا يمكن أن يحصيه العبد أو أن يقوم به، ومن رحمة اللّه وبره بعباده أن شرع لهم كلمات جامعة شاملة ورضيها منهم ، من ذلك: لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، الحمد للّه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، الحمد للّه حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى.

وكان النبي صلى اللّه عليه وسلم يمكث الساعات الطويلة يكرر المحامد ويرددها.

إن المصلي حين يرفع من الركوع شرع له أن يقول: سمع اللّه لمن حمده، وفي هذا الجملة حث وتحفيز على أن يبادر المصلي إلى الحمد فإنه اللّه يسمعه ويستجيب له ، ينبغي للمصلي أن يفرح بهذه البشارة في كل ركعة من صلاته ويكثر من حمد اللّه والثناء عليه فهذا حق اللّه على عبيده، وكثرة الحمد وسيلة إلى تحقيق الرجاء ودفع البلاء.

وقد ورد في فضل الحمد وثوابه نصوص كثيرة مذكورة في كتب السنة يحسن العلم بها واستحضارها لينشط العبد بكثرة الحمد لربه ويجتهد فيه .

المفتاح الثامن: الاستغفار

الاستغفار نصف العبودية ، فالعبودية علم وعمل ، فالعلم هو التوحيد والعمل هو الاستغفار ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ محمد:١٩ ، (سبحانك اللّه ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي) (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

الاستغفار هو الاعتذار من التقصير في حق الواحد القهار، وحق اللّه على عباده عظيم وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، والتقصير فيه حاصل ، أما تعظيم اللّه حق عظمته وتقدير اللّه حق قدره فهذه منزلة عالية رفيعة قد لا يدركها إلا الأنبياء ، وكلما زاد علم العبد بربه كلما زاد يقينه بتقصيره وتفريطه فلذلك الاستغفار لازم للعبد مهما كانت مرتبته ، ومهما كانت عبوديته.

والصلاة كلها استغفار من أولها إلى آخرها : ففي الاستفتاح: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، وفي الركوع: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، وفي السجود : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، اللهم اغفر لي ذنبي كله ، وفي التشهد : رب إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا كبيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي.

وخصص ركن مستقل للاستغفار في جلسة خاصة تشعر بالذل والافتقار ، فهي جلسة الأسير المنتظر للقتل أو جلسة المتوسل إلى عظيم ، وكان النبي صلى اللّه عليه وسلم يطيل هذا الركن ويكثر فيه الاستغفار وربما كرر فيه كلمة واحدة وقتا طويلا هي : رب اغفر لي لا يزيد عليها.

وبعد الاستغفار يستجاب الدعاء لذلك شرع للمصلي أن يدعو بعد الاستغفار بدعوات جامعة جمعت خيري الدنيا والآخرة وهي قوله صلى اللّه عليه وسلم : رب اغفر وارحمني واهدني وارزقني وعافني واجبرني.

حين يوجد هذا الاستغفار بصدق ويقين وعمق فإن ما وعد اللّه تعالى عباده على لسان رسله يتحقق لهم، فهذا نوح يعد قومه إن استغفروا أن يمددهم بأموال وبنين ويجعل لهم جنات ويجعل لهم أنهارا ، وهذا هود يعد قومه بإرسال السماء عليهم مدرارا ، ويزيدهم قوة إلى قوتهم ،

وهذا محمد صلى الله عليه وسلم يعد أمته بخيري الدنيا والآخرة إن تابوا واستغفروا ، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

المفتاح التاسع: الدعاء

الصلاة كلها دعاء ، ففي الاسفتاح دعاء ، وعند قراءة القرآن دعاء ، والفاتحة دعاء ، وفي الركوع طلب للمغفرة مقرون بالتسبيح وهو دعاء ، وفي الجلوس بين السجدتين دعاء ، وبعد قراءة التشهد دعاء، لكن اختص السجود بكونه هو محل إكثار الدعاء والإلحاح فيه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء، فنص بذلك على أمور:

الأول: أن العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد ، وإذا كان السجود في جوف الليل تضاعف قرب العبد من ربه كما جاء في الحديث : أقرب ما يكون العبد من ربه في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى في تلك الساعة فكن ، فيجتمع للعبد قرب الحال وقرب الوقت.

الثاني: بيان أن الدعاء في السجود مستجاب .

الثالث : الأمر بكثرة الدعاء والإلحاح فيه.

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم إطالة السجود وكثرة الدعاء والتضرع والتسبيح والاستغفار.

وأيضا من مواضع كثرة الدعاء في الصلاة بعد قراءة التشهد الذي تضمن الثناء على الله تعالى والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهو من مواضع استجابة الدعاء وخاصة في الصلوات المكتوبات.

إن الصلاة هي الدعاء ، الدعاء الذي معناه الافتقار والاضطرار والتضرع إلى الله تعالى واليقين بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنه لا مغيث إلا الله ولا ناصر إلا الله.

والتضرع إلى الله تعالى والافتقار والاضطرار إليه يجب أن يكون في كل حال في السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، لأن الإنسان مفتقر إلى ربه في كل نفس من أنفاسه وهو على خطر عظيم مع كل خفقة ومن خفقات قلبه ، لا غنى له عن ربه طرفة عين، قال ابن تيمية: بحيث يجد اضطراره إلى أن يكون الله تعالى معبوده ومستغاثه أعظم من اضطراره إلى الأكل والشرب فإنه لا صلاح له إلا بأن يكون الله هو معبوده الذي يطمئن إليه ويأنس به ويلتذ بذكره ويستريح به ولا حصول لهذا إلا بإعانة الله،

ومتى كان للقلب إله غير الله فسد وهلك هلاكا لا صلاح معه "اهـ ، هذا هو العبد الذي حقق العبودية وأخلصها لله فلا يغير تغير الحال من حاله شيئا هو هو في أحلك شدة كما هو في أحسن حال وأنعم بال لا يتغير شدة تعظيمه وتقديسه وتكبيره وتبجيله وإجلاله لربه، ولا يتغير رؤية شدة فقره واضطراره وفاقته واستغاثته وابتهاله لربه شيئا.

ومن المهم جدا حفظ الأدعية الواردة في القرآن والسنة حفظا تربويا ، فالأدعية الورادة في القرآن والسنة فيها معان كبيرة وعظيمة تحتاج إلى فقه عميق دقيق.

والمتأمل في الصلاة يجد أنها توفرت فيها أسباب إجابة الدعاء فمن ذلك:

١- استجابة الدعاء عند الاستفتاح: قال ابن عمر رضي الله عنهما : بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القائل كلمة كذا وكذا قال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال عجبت لها فتحت لها أبواب السماء <مسلم عن ابن عمر>

٢- الفاتحة دعاء مستجاب وهي أعظم الدعاء، دل على ذلك حديث (قسمت الصلاة) وهو في صحيح مسلم.

٣- استجابة الدعاء في السجود: ومر في أول هذا المفتاح ذكر الأحاديث الدالة على ذلك.

٤- الاستجابة عند التأمين بعد قراءة الفاتحة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه <البخاري ومسلم عن أبي هريرة>

٥- استجابة الدعاء عند التحميد بعد الرفع من الركوع : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه <البخاري ومسلم عن أبي هريرة> ، وقال رفاعة بن رافع الزرقي كنا يوما نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف قال من المتكلم قال أنا قال رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول <البخاري> وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا جاء فدخل الصف وقد حفزه النفس فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم

صلاته قال أيكم المتكلم بالكلمات فأرم القوم فقال أيكم المتكلم بها فإنه لم يقل بأسا فقال رجل جئت وقد حفزني النفس فقلتها فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا يبتدرونها أيهم يرفعها <مسلم>

٦- الدعاء بعد التشهد وقبل التسليم: قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات <الترمذي وحسنه عن أبي أمامة>

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ويطيلها ويكثر فيها التضرع والاستغاثة والإلحاح بالدعاء وطلب كشف الكربة وإزالة الغمة.

فهذا هو الصراط المستقيم والهدي القويم في مثل هذه الأحوال لكن الملاحظ أن من لم يجاهد نفسه على الصلاة في الرخاء ولم يتدرب عليها طويلا فإنه لا يستفيد منها في الشدة بل تصعب عليه أو تتعذر .

فالدعاء الدعاء أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ، وإذا قيل الدعاء فأول ما ينبغي أن ينصرف الفهم إلى الصلاة فهي الدعاء وهي أقرب ما يكون العبد من ربه.

إن الإخلاص أقوى حال يستجاب فيها الدعاء ويحقق الرجاء ويدفع البلاء ، حتى لو كان المخلص في دعائه مشركا في حال الرخاء كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾العنكبوت: ٦٥ ، والصلاة متى كانت حقا صلاة فإنها تحقق قوة الإخلاص واليقين بأنه لا إله إلا الله ، وهو وسيلة إلى كشف الكربات وجلاء الهموم والأحزان ، وشرح الصدور وتيسير الأمور ودفع الشرور.

المفتاح العاشر: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

في ختام كل صلاة يشرع للمصلي أن يصلي على النبي صلى اللّه عليه وسلم ، ويصلي على آله وفي هذا تذكير بمحبة النبي صلى اللّه عليه وسلم ومحبة آل بيته في كل صلاة يصليها ، وحب النبي صلى اللّه عليه وسلم وحب آله من الإيمان الذي أمرنا به ، ومن العمل الصالح الذي نتوسل به لتحصيل رضى اللّه تعالى.

المفتاح الحادي عشر: التسليم

في جلسة التشهد بعد الثناء على اللّه تعالى يسلم المصلي أولا على النبي صلى اللّه عليه وسلم، ثم يسلم على نفسه وعلى عباد اللّه الصالحين ، أخرج البخاري عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال كنا إذا صلينا مع النبي صلى اللّه عليه وسلم قلنا السلام على اللّه قبل عباده السلام على جبريل السلام على ميكائيل السلام على فلان وفلان فلما انصرف النبي صلى اللّه عليه وسلم أقبل علينا بوجهه فقال إن اللّه هو السلام فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل التحيات للّه والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّه وبركاته السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين فإنه إذا قال ذلك أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض .

ومشروعية ختام الصلاة بالسلام له معان مهمة منها: ترسيخ الحب والإخاء بين المؤمنين وتقوية الصلة بينهم فإن إفشاء السلام سبيل غرس الحب كما صح بذلك الحديث .

وعلى المصلي أن يتذكر كل معاني السلام وهو يسلم على نبيه صلى اللّه عليه وسلم ويسلم على عباد اللّه الصالحين ، وهو يختم صلاته بقوله: السلام عليكم ورحمة اللّه ، السلام عليكم ورحمة اللّه ، فهو سلام ودعاء لإخوانه المؤمنين بالرحمة والبركة .

إن مجتمعا تقام فيه هذه الصلاة ويعي المصلي معنى السلام الذي شرع له في صلاته لهو مجتمع تسوده المحبة والمودة ، ويكثر بين أفراده التعاون والتكاتف ، ويسوده السلام وتختفي منه مظاهر البغضاء والشحناء.

المفتاح الثاني عشر: كثرة الصلاة

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾المعارج: ١٩ - ٢٣ ، فهذا خبر من العليم الخبير ، خالق هذا الإنسان ومدبره ، ينص على أن الإنسان كل إنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين ، وليس كل المصلين بل الذين هم على صلاتهم دائمون فهذا شرط وصفة مهمة لتحقيق هذا المقصود العظيم من مقاصد الصلاة ، الشرط هو دوام الصلاة ، الصلاة على مدار الساعة ، وأي توقف للصلاة يؤدي إلى ضعف القلب ومرضه وربما موته ، وخير تفسير عملي لهذه الآية هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كان ورده في الليل والنهارأربعون ركعة هذا الثابت في معظم النصوص وبيانه كما يلي:

١٧ ركعة الصلوات الخمس

١١ ركعة صلاة الليل

١٢ ركعة السنن الرواتب

ومن النصوص الواردة في بيان تطوع النبي صلى الله عليه وسلم في النهار ما أخرجه ابن ماجه عن عاصم بن ضمرة قال سألنا عليا رضي الله عنه عن تطوع النبي - صلى الله عليه وسلم – بالنهار- فقال: إنكم لا تطيقونه، فقلنا أخبرنا به نأخذ منه ما استطعنا، قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا صلى الفجر يمهل حتى إذا كانت الشمس من ها هنا ـ يعني من قبل المشرق ـ مقدارها من صلاة العصر من ها هنا - يعني: من قبل المغرب- قام فصلى ركعتين، ثم يمهل حتى إذا كانت الشمس من ها هنا ـ يعني من قبل المشرق - مقدارها من صلاة الظهر من ها هنا قام فصلى أربعا، وأربعا قبل الظهر إذا زالت الشمس، وركعتيه بعدها، وأربعا قبل العصر يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين، والنبيين، ومن تبعهم من المسلمين، والمؤمنين ، قال علي رضي الله عنه : فتلك ست عشرة ركعة تطوعه - صلى الله عليه وسلم - بالنهار، وقلَّ من يداوم عليها، قال وكيع: زاد فيه أبي فقال حبيب بن أبي ثابت: يا أبا إسحق، ما أحب أن لي بحديثك هذا ملء مسجدك هذا ذهبا.

ومعنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في النهار ست عشرة ركعة تطوعا وبيانها كما يلي: ركعتان بعد شروق الشمس بنحو ساعتين ، وأربع ركعات قبل أذان الظهر بساعتين، وهذه صلاة الضحى ، ثم راتبة الظهر قبلها أربع ركعات وبعدها ركعتان ، ثم راتبة العصر أربع ركعات.

والمتأمل في ورد النبي صلى الله عليه وسلم اليومي من الصلاة يرى أنه موزع على الأربع وعشرين ساعة بنظام بديع بحيث لا يفصل وقت طويل بين صلاة وصلاة ، فصلاته صلى الله عليه وسلم على مدار الساعة دون توقف هذا دأبه كل يوم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : اكلفوا من العمل ما تطيقون فعلى المسلم أن يأخذ نفسه بالتدريج لكي يصل إلى التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم كما وكيفا ، ولا يحسن التعنت في هذا الأمر ومشادة النفس بل يؤخذ الأمر بالتدريج والمجاهدة والصبر ولو استغرق ذلك سنوات فالمهم أن الهدف واضح وأنك تسير في الطريق الصحيح ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

إن القلب إذا توقفت عنه هذه الصلاة ولو ساعات فإنه يشعر بالنقص ويحس بالتعب وهذا أمر جربه العارفون وأوصى بمراعاته الصالحون تأكيدا لوصية رب العالمين وهدي سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

إن كثرة الصلاة يكون بأمرين معا :

الأول: كثرة القراءة والتسبيح والدعاء ويكون هذا بإطالة أركانها من قيام وركوع وسجود.

الثاني : كثرة الركوع والسجود أي عدد الركعات

وبهذين الأمرين جاءت النصوص ووقع بين العلماء خلاف في أيهما أفضل هل طول القيام وكثرة القراءة أو كثرة السجود ، والتحقيق أن كلا الأمرين مطلوب ، ومن المعلوم أن طول القيام يترتب عليه طول الركوع وطول السجود هذا هو المحفوظ من سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما كثرة السجود مع التخفيف والتطفيف فلا تحقق مقاصد الصلاة ، وهذا يفسر شكوى بعض المكثرين للصلاة من عدم خشوعهم فيها وعدم تحقق ما وعد الله

المصلين من القوة والثبات واليقين والصبر والنصر والبركة في الحياة ، أما من يجمع بين الأمرين حسب ما ورد تفصيله في السنة فهذا هو الذي يستفيد من صلاته.

وقد ورد عدد من النصوص في الحث على كثرة الصلاة منها :

١- عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة أو قال قلت بأحب الأعمال إلى الله فسكت ثم سألته فسكت ثم سألته الثالثة فقال سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة ثم لقيت أبا الدرداء فقال لي مثل ما قال لي ثوبان <مسلم>

٢- عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي سل فقلت أسألك مرافقتك في الجنة قال أو غير ذلك قلت هو ذاك قال فأعني على نفسك بكثرة السجود <مسلم> .

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه <البخاري>

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن وجدت تامة كتبت تامة وإن كان انتقص منها شيء قال انظروا هل تجدون له من تطوع، يكمل له ما ضيع من فريضة من تطوعه ثم سائر الأعمال تجري على حسب ذلك <أبو داود والنسائي>

٥- وعنه أيضا قَاْلَ قَالَ رَسُوْلُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهَ وَسَلَّمَ الْصَلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوْعٍ فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْثِرْ فَلْيَسْتَكْثِرْ <ابن حبان والحاكم>

٦- عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن <ابن ماجه والدارمي>

لا يصح أن يفهم أحد أن التأسي بالنبي صلى اللّه عليه وسلم في كثرة الصلاة هو بالعدد مع إهمال المفاتيح الأخرى ، فالبعض مثلا لما سمع أن النبي صلى اللّه عليه وسلم كان لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة فهم أن المقصود العدد فصار لا يزيد على إحدى عشرة ركعة لكنه يصليها باستعجال في دقائق معدودة ، بينما النبي صلى اللّه عليه وسلم كان يصليها في أربع ساعات على الأقل وربما زاد إلى ست أو سبع ساعات في بعض الليالي.

فليست العبرة بالعدد بل مع العدد لا بد من الكيف والصفة فقد كان من صفة صلاة النبي صلى اللّه عليه وسلم في قيام الليل طول القيام وكثرة التعظيم والثناء على اللّه تعالى وطول السجود وكثرة التضرع والمناجاة للّه عز وجل، فإن أطاق المصلي مثل هذه الركعات واستغرقت مثل وقتها فهذا هو عين السنة ، وحين يعجز المصلى عن ذلك فعليه بما يطيق، وأن يتفوق الليل تفوقا أي يوزع صلاته على أول الليل ووسطه وآخره وأن تكون ركعاته بقدر ما يطيق في الطول ، ولا عليه إن زادت عن إحدى عشرة أو نقصت.

يقول اللّه تعالى في صفة المتقين المستحقين للجنات والعيون : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ الذاريات: ١٧ ، وخير تفسير لهذه الآية هو هدي النبي صلى اللّه عليه وسلم فقد كان النبي صلى اللّه عليه وسلم يقوم نصف الليل أو ثلثيه ، فمن صلاة الليل: صلاة المغرب وصلاة العشاء وسنتهما الراتبة ، ثم كان ينام بعد العشاء في حدود ثلاث ساعات ليقوم بعدها يصلي إلى الفجر ، وربما في بعض الليالي يصلي بعد العشاء ركعتين ثم ينام ، ثم يستيقظ فيصلي ثم ينام ، ثم يستيقظ ويصلي إلى الفجر ، فالمهم أنه كان لا ينام من الليل إلا قليلا ، وصلاته صلى اللّه عليه وسلم أكمل وأعلى من صلاة دواد عليه السلام الذي كان ينام نصف الليل ثم يصلي ثلثه ثم ينام سدسه ، فهذه مرتبة أدنى من مرتبة صلاة نبينا محمد صلى اللّه عليه وسلم ، وليس معنى قوله صلى اللّه عليه وسلم أنها أحب الصلاة إلى اللّه أنه لا يشرع غيرها أو لا يوجد أكمل منها ، بل فعله صلى اللّه عليه وسلم لا يخالف قوله ، فقد أخبر أن أحب الصيام إلى اللّه صيام دواد ومع هذا لم يحفظ عنه صلى اللّه عليه وسلم أنه التزم به بل كان له هدي خاص في صيام التطوع مفصل في مواضعه من كتب أهل العلم .

المقصود أن تفسير قول الله تعالى :﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾الذاريات: ١٧ ،هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الليل وهو ما وصفته، والوصول إلى هذه المرتبة يحتاج إلى مجاهدة وإلى قوة إيمان تحتاج إلى تدريج وتمهل وصبر ومثابرة .

الصلاة للقلب مثل الماء للبدن يحتاجها على مدار الساعة ومتى توقفت عنه فإنه يعطش وقد يشتد عطشه فيصاب بالجفاف والقسوة، وربما صعبت عليه الصلاة إلا بجهد كبير، فإن الصلاة تعين على الصلاة، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾البقرة: ٤٥، وأعظم ما يعين على الخشوع ويحققه الصلاة فهي التي تحقق العلم والإيمان والذكر الذي يثمر الخشوع الذي يعين على الصلاة ، ثم الصلاة تثمر الخشوع وهكذا لا يزال العبد في ارتقاء وصعود حتى يصل أعلى المقامات، وفي أي وقت يغفل عن الصلاة أو يتهاون بها فإن خشوعه ينقص فتنقص صلاته ولا يزال في نقص حتى يصل أدنى المستويات.

فمتى أردت الصلاة فعليك بالصلاة مهما تطلب ذلك في البداية من جهد كبير وشاق ثم بعد ذلك تسهل عليك بالتدريج حتى تصير لك سجية وطبعا لا يمكنك مفارقتها.

وحين تصاب بالكسل عن الصلاة والتثاقل عنها فعليك بالفاتحة ، اقرأها جهرا ، وبنية الدعاء والرقية علاجا للكسل فبإذن الله يحصل الشفاء ، والشفاء من خواص هذه السورة العظيمة وقد سميت به، وهذا الشفاء يحصل بصورة أكبر وأسرع لمن كان يحافظ على تدريب: (الفاتحة مفتاح النجاح في الحياة).

استفد من مفاتيح الإنجاز السبعة في تحقيق هذا المفتاح المهم من مفاتح إقامة الصلاة،وهي مفصلة في كتاب (مفاتيح إنجاز الأهداف وبرنامج مواعيد) فتطبيقها بإذن الله تعالى يشفي من الكسل، ويبعث الهمة ويولد النشاط ويحقق الإنجاز.

المفتاح الثالث عشر : الصلاة بقلب

مهما كان تطبيقك لما سبق من المفاتيح فإنها لا تفيد ما لم تُحكم تطبيق هذا المفتاح.

هذا المفتاح هو المسؤول عن حفظ روح الصلاة وحراسة نورها ، هذا المفتاح هو رجل الأمن في مملكة القلب ، فمهما كانت قراءتك للقرآن أو كان تسبيحك وتمجيدك أو كان تضرعك ودعاؤك فما لم يكن بقلب حاضر فإن وجوده كعدمه أو أن أثره ضعيف محدود لا يحقق مقاصده.

الصلاة بقلب أهم أنواع القراءة بقلب ، وقد وردت نصوص تحث عليها وتؤكد أهميتها فمن ذلك : قول النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ <البخاري ومسلم عن عثمان>

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ <مسلم عن عقبة بن عامر>

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لا يَسْهُو فِيهِمَا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ <أبو داود وأحمد عن زيد بن خالد الجهني>

ومن أجل ذلك فإن الشيطان أشد ما يكون على الإنسان إذا قام في الصلاة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى <البخاري ومسلم عن أبي هريرة> ،وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار (مسلم عن أبي هريرة) .

قال ابن القيم : " إن العبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه ، فإنه قد قام في أعظم مقام وأقربه، وأغيظه للشيطان ، وأشده عليه فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه بل لا يزال به يعده ويمنّيه وينسيه ،ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهوّن عليه شأن الصلاة ، فيتهاون بها فيتركها فإن عجز عن ذلك منه ، وعصاه العبد ،وقام في ذلك المقام ،أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه ، ويحول بينه وبين قلبه ،

فيذكّره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها ، حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة وأيس منها ، فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها ، ويأخذه عن الله عز وجل ، فيقوم فيها بلا قلب ،فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته ،فينصرف من صلاته مثلما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله لم تُخففْ عنه بالصلاة ، فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها ، وأكمل خشوعها ، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه"اهـ <الوابل الصيب>

جهاد وساوس الشيطان في الحياة وخاصة في الصلاة ، هو أشد وأصعب أنواع الجهاد التي يحتاج إليها الإنسان في هذه الحياة.

إن خطة الشيطان في هذه المعركة تقوم على مبدأ إلهاء القلب بالأفكار والهواجيس لينصرف وينشغل عن ذكر ربه .

وفي عصرنا الحاضر وجد من المخترعات والآلات ما استغله الشيطان لصالحه في هذه المعركة ، فإن مما ابتلي به معظم الناس اليوم الإدمان على النت والقنوات والجوال وهذا كفيل بأن يسرق لب الإنسان فيتحول بذلك إلى شخص ساذج خامل غير منتج.

هي في الأصل أداة تصلح للخير والشر لكن غلب استعمالها في الشر ، وحتى استخدامها في جانب المباح من ترفيه وغيره زاد عن حده فانقلب شرا لأنه ألهى عن ذكر الله واستهلك الأوقات الثمينة في أمور تافهة ، وأشغل الإنسان عن كثير من واجباته ومصالحه ،هذا إدمان في جانب اللهو ، وهناك إدمان آخر لا يقل خطورة عنه في جانب التجارة والاقتصاد الذي دخل فيه الصغير والكبير والغني والفقير فتعلق الناس به تعلقا أعمى الأبصار وأسر القلوب ، وصدق على كثير من الناس قول الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ﴾الأنبياء: ١ - ٣.

إنها حرب تخدير الشعوب وتحويلها إلى قطعان من الخراف تساق إلى حتفها طائعة راغبة دون أي اعتراض.

ولقد أثر هذا الإدمان على وسائل الاتصالات والاقتصاد على صلاة الكثير من الناس، حتى إنك تخشى على صلاتهم من البطلان وعدم براءة الذمة بها ، سئل ابن تيمية عن وسواس الرجل في صلاته وما حد المبطل للصلاة ؟

فأجاب : الحمد لله ، الوسواس نوعان : أحدهما : لا يمنع ما يؤمر به من تدبر الكلم الطيب والعمل الصالح الذي في الصلاة بل يكون بمنزلة الخواطر فهذا لا يبطل الصلاة ؛ لكن من سلمت صلاته منه فهو أفضل ممن لم تسلم منه صلاته ، الأول شبه حال المقربين والثاني شبه حال المقتصدين .

وأما الثاني : فهو ما منع الفهم وشهود القلب بحيث يصير الرجل غافلا فهذا لا ريب أنه يمنع الثواب كما روى أبو داود في سننه عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها إلا نصفها إلا ثلثها ؛ إلا ربعها إلا خمسها إلا سدسها حتى قال : إلا عشرها ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه قد لا يكتب له منها إلا العشر .

وقال ابن عباس : ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ، ولكن هل يبطل الصلاة ويوجب الإعادة ؟ فيه تفصيل .

فإنه إن كانت الغفلة في الصلاة أقل من الحضور والغالب الحضور لم تجب الإعادة وإن كان الثواب ناقصا فإن النصوص قد تواترت بأن السهو لا يبطل الصلاة وإنما يجبر بعضه بسجدتي السهو وأما إن غلبت الغفلة على الحضور ففيه للعلماء قولان : أحدهما : لا تصح الصلاة في الباطن وإن صحت في الظاهر كحقن الدم ؛ لأن مقصود الصلاة لم يحصل فهو شبيه صلاة المرائي فإنه بالاتفاق لا يبرأ بها في الباطن وهذا قول أبي عبدالله ابن حامد وأبي حامد الغزالي وغيرهما .

والثاني تبرأ الذمة فلا تجب عليه الإعادة وإن كان لا أجر له فيها ولا ثواب بمنزلة صوم الذي لم يدع قول الزور والعمل به فليس له من صيامه إلا الجوع والعطش .

وهذا هو المأثور عن الإمام أحمد وغيره من الأئمة واستدلوا بما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا أذن المؤذن بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضي التأذين أقبل فإذا ثوب بالصلاة أدبر فإذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول : اذكر كذا اذكر كذا ما لم يكن

يذكر حتى يظل لا يدري كم صلى فإذا وجد أحدكم ذلك فليسجد سجدتين ، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الشيطان يذكره بأمور حتى لا يدري كم صلى وأمره بسجدتين للسهو ولم يأمره بالإعادة ولم يفرق بين القليل والكثير .

وهذا القول أشبه وأعدل ؛ فإن النصوص والآثار إنما دلت على أن الأجر والثواب مشروط بالحضور ولا تدل على وجوب الإعادة لا باطنا ولا ظاهرا والله أعلم "اهـ <فتاوى ابن تيمية ٢٢/٦١١>

ولكي تكون الصلاة بقلب هذه بعض المفاتيح التي تعين على المجاهدة والتدريب في تحقيق ذلك وهي قسمان:

❖ أولا : مفاتيح التدبر

□ **المفتاح الأول :التركيز**

١- تركيز القلب:أي منع الهواجيس في الصلاة كلها ، فيمنع قراءة القرآن كلما حصل شرود للقلب واشتغاله بأمر آخر ، توقف عن القراءة عند دخول أي خواطر أو وساوس، لا تسمح لنفسك أبدا أن تقرأ مع وجود الهواجيس، وكلما عادت فعد، قف لها بالمرصاد، لتكن قراءتك نقية.

هذا الأمر ربما يتعبك في البداية وترى أنه مستحيل لكن مع الاستعانة بالله تعالى والمجاهدة والصبر سوف تفضي إلى روضة غناء ودوحة فيحاء لا تقدر قدرها ولا تدرك خطرها وعمق لذتها وقوة بصيرتها فاجتهد وجاهد واصبر ولو طال بك المقام فأنت تطلب أمرا عاليا وشيئا غاليا، ثمينا جدا يستحق الصبر وبذل الجهد.

إن القراءة النقية، القراءة بقلب، القراءة الصافية لها بريق خاص ومذاق مميز وحلاوة لا يدركها إلا من ذاقها فكن أحدهم.

لا يصح أبدا ومهما كان المبرر أو العذر أن تصلي هواجيس، بل يجب أن تجاهد ولا تستسلم، وتستعين بالله وتلح بالدعاء أن ييسر لك الصلاة بقلب ومن ذلك أن تدعو دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، ومنه الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، والاستعاذة بسور الإخلاص والمعوذتين ففي ذلك عون كبير على

جمع القلب وحضوره في الصلاة ، تركيز القلب هو قلب الصلاة ، وبقية فروع التركيز من أجل تحصيله وتحقيقه.

٢- تركيز العين: وهو ربط العين بالقلب، وهو على قسمين:

الأول: تركيز النظر إلى موضع السجود وهذا في معظم الصلاة.

الثاني: تركيز النظر إلى السبابة مع تحريكها وهذا يكون في التشهد.

وتركيز العين أقوى من تغميضها في تحقيق الصلاة بقلب لذا جاء النهي عن تغميض العينين في الصلاة، والبعض يلجأ إليه حين يعجز عن التركيز وهذا استسلام ونزول للمستوى الأدنى ، فالأولى المجاهدة في تركيز العين إلى موضع السجود أو إلى السبابة حتى تتعود عليه فذلك أولى من تغميض العينين وأولى من فوضى النظر وإطلاق البصر.

٣- تركيز اليد: أي تثبيت اليد ، ويكون في الصلاة كما يلي:

أولا : تثبيت اليدين على الصدر حين القيام بوضع كف اليد اليمنى على كف اليد اليسرى والرسغ والساعد

ثانيا : في الركوع وضع اليدين على الركبتين بحيث تكون راحة اليد على الركبة وأصابع اليد تقبض عليها

ثالثا : في السجود بسط الكفين على الأرض مع توجيه أصابعهما إلى القبلة

رابعا : في الجلسة بين السجدتين : بسط الكفين على الفخذين والركبتين مع توجيه أصابعهما إلى القبلة

خامسا : في التشهد : قبض الوسطى والإبهام ورفع السبابة مع تثبيت اليد على الفخذ ، وأما اليد اليسرى فتكون مبسوطة على الفخذ والركبة وتوجيه أصابعها إلى القبلة.

فهذه الأوضاع المقصود منها تركيز اليد بحيث لا تشتغل بأي أمر في الصلاة بل تبقى ثابتة بطريقة محددة تقوي التركيز في كل الصلاة.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الإشارة بالسبابة في جلسة التشهد : لهي أشد على الشيطان من الحديد <أحمد عن ابن عمر> أي أن الإشارة بالسبابة عند التشهد في الصلاة أشد على الشيطان من الضرب بالحديد لأنها تذكّر العبد بوحدانية الله تعالى والإخلاص في العبادة .

ولأجل هذه الفائدة العظيمة كان الصحابة رضوان الله عليهم يتواصون بذلك ويحرصون عليه ويتعاهدون أنفسهم في هذا الأمر، فقد جاء في مصنف ابن أبي شيبة عن سليمان بن يحيى قال : (كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ بعضهم على بعض يعني : الإشارة بالإصبع في الدعاء).

٤- تركيز الوجه: فيحرم الالتفات في الصلاة ، وجاء في الصحيح أن الالتفات اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد.

٥- تركيز القدم: أي الصلاة واقفا ، وهذا أقوى في التركيز ، ومن معاني الوقوف تعظيم الله وإجلاله بالمثول بين يديه.

٦- تركيز اللسان: منع اللسان من أي كلام غير ما يقرؤه في الصلاة .

- **المفتاح الثاني: الجهر والتغني**

الجهر والتغني في قراءة القرآن بطريقة تشد القلب وتجعل القراءة تقع في الإذن وقعا حسنا يجذب إلى التفكر في معانيها والتأثر بمواعظها.

والتغني يعني الاجتهاد في تحسين الصوت قدر المستطاع ومن ذلك تلحين القراءة والتطريب بها ، وتكرار بعض الكلمات بطريقة مناسبة متناغمة تعطي القراءة نغما لطيفا يساعد على مواطأة القلب لما يقرؤه اللسان.

والجهر في كل مكان بحسبه، فحين يكون المصلي منفردا فله الحرية في رفع صوته بقدر مناسب، وحين يكون مأموما فإن قراءته تكون سرا ، ومعنى القراءة السرية تحريك أدوات النطق وأن يسمع المصلي نفسه دون أن يتعدى إلى جاره بل يقتصر عليه، وهذا أمر يحتاج إلى ضبط، والمهم أن القراءة الصامتة لا مكان لها في الصلاة مطلقا.

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة السرية باضطراب لحيته ، فهذا يدل على تحريك للفكين تبعا لتحريك اللسان والشفتين حين القراءة ، وبهذه الطريقة تكون القراءة في كل أقوال الصلاة، فقد ثبت سماع الصحابة لما كان يقوله النبي صلى الله عليه وسلم في ركوعه واعتداله وسجوده

وجلوسه <وهذا حين يكون منفردا> ، وأن يكون التسبيح بتفخيم ومد ، وأن يكون الدعاء بتمسكن وتباكي حتى يحصل اجتماع القلب حين التسبيح أو الدعاء.

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا الأمر أن بعض المصلين تعود على نمط معين في القراءة والتسبيح والدعاء من بداية الصلاة إلى نهايتها ، وهذا يؤدي إلى فك القلب عن اللسان واشتغاله بالهواجيس ، يظن المصلي أنه يقرأ ويسبح ويدعو بينما هو في الحقيقة قلبه غائب عن ذلك كله ، والصحيح التنويع في نمط وطريقة القراءة والتسبيح خلال القراءة كلها حتى يحصل تنبيه القلب واجتماعه.

□ المفتاح الثالث : الترتيل

الترتيل يعني الأناة والتمهل حين القراءة أو التسبيح والدعاء ، والمقصود من هذا التمهل إعطاء القلب فرصة ليتأمل ويتفكر فيما يقرأ ويقول في الصلاة ، وينبغي الحذر أن يسرق الشيطان هذا التمهل فيشغله بالهواجيس والوساوس ، يظن المصلي أنه يتدبر ويتأمل بينما قلبه مشغول في غير ما يقرؤه اللسان.

□ المفتاح الرابع : التكرار

التكرار يفيد في تعميق الكلمات واستدعاء معانيها وتكبيرها في القلب بدل أن يمر عليها مرورا سريعا.

وربما لا يتيسر هذا الأمر بصورة مرضية في الصلوات المفروضة لكن في الصلوات النافلة مساحة كافية وحرة لتحقيق ما يرضي النفس في هذا الباب .

والتكرار لا بد أن يكون بربط ليحقق مقصوده وإلا أصبح تكرارا أجوفا لا حقيقة له.

وتكرار التسبيح والحمد والاستغفار يوجد بسبب فتح يحصل للمصلي يشعر معه بعمق الكلمات واتساعها فيكررها لما يرى فيها من حلاوة وضخامة وحب وشوق حتى أنه في بعض الأحيان يغيب عما حوله تماما ويستغرق قلبه في صور ومعاني الكلمات التي يكررها.

المفتاح الخامس: الربط

معنى الربط : ربط اللفظ بالمعنى حين القراءة.

وأهم أمر في الصلاة يحتاج إلى ربط (كلمات الفاتحة) ، وكلمة (الله أكبر) ، ثم سائر كلمات الصلاة ، وآيات القرآن الكريم.

هذا الربط يتطلب عملا مستمرا وأناة وصبرا ومثابرة ، ويحتاج يقظة وانتباها ومجاهدة خاصة ربط آيات الفاتحة بحديث قسمت الصلاة .

في كتاب القراءة بقلب ذكرت ما تيسر من معاني آيات الفاتحة التي يجب أن تربط بها حين قراءتها ، وهو نموذج يحتذى لبقية كلمات الصلاة .

لا بد أن تكون القراءة بربط لتكون قراءة بقلب ، أما مجرد قراءة اللفظ سردا دون توقف وربط فهذا أثره محدود وضعيف لا يكاد يحقق المقصود.

❖ ثانيا: مفاتيح الإنجاز

المقصود بالإنجاز هنا تحقيق الصلاة بقلب أي حضور القلب وربطه بما تتم قراءته بحيث يحصل التدبر والتأثر، ولتحقيق ذلك يمكن استخدام أربعة من مفاتيح الإنجاز كما يلي :

المفتاح الأول : حدد

معنى حدد أي قرر واعزم، وعاهد نفسك قبل كل صلاة فرضا أو نفلا على أن تكون القراءة بقلب بفقه بعلم بذكر بوعي، أن تعلم ما تقول، ألا تجعل للشيطان فرصة أن يفك قلبك عن لسانك ، وهذه من عادات الخير التي تنمو وترسخ مع التكرار وكثرة التدريب والممارسة.

□ **المفتاح الثاني : حدث**

أن تقف قبل كل صلاة ثوان معدودة وربما تصل إلى دقائق تذكرها بمقاصد الصلاة أو بما يتيسر منها وبعظم هذه الشعيرة وضخامة نتائجها وثمراتها ، وفداحة الخسارة المترتبة على التقصير والتفريط فيها.

لا يصح أن تدخل أي صلاة إلا بعد معاهدة ومشارطة بلهجة شديدة وبقوة وحزم.

قبل كل صلاة يجب مشارطة ومعاهدة النفس على منع الهواجيس، وتذكيرها بذلك، أما حين يحصل النسيان لهذه المشارطة فإنه ربما انقضت الصلاة كاملة دون أي تركيز وحضور للقلب ، فلا يدري المصلي ماذا قرأ وماذا صلى، وهذه في الحقيقة ليست صلاة إنما حركات مفرغة من أي مضمون.

لا تسمح لأي أفكار أو هواجيس أن تدخل قلبك كن حارسا يقظا ساهرا على باب قلبك فلا يدخله غير ما يقرؤه لسانك.

حدث نفسك بما قررت وعزمت عليه باستمرار في كل وقت وخاصة عند الدخول في أي صلاة، ذكرها بضرورة أن تكون القراءة في الصلاة بقلب وأن الشيطان يريد أن يصدك عن ذكر الله في الصلاة ليفسد عليك صلاتك ويحرمك من ثوابها ونفعها في الدنيا والآخرة.

□ **المفتاح الثالث : عقب**

تعقب نفسك بعد كل صلاة وعاقبها عن كل صلاة تصليها دون قلب لتفهم نفسك أن ما قررته وما شارطتها عليه جد وليس هزلا ، وتكون العقوبة بالصدقة أو الصيام ، أو الاستغفار ، كل ذلك مشروع ونافع بإذن الله تعالى في تحقيق ما تريد.

□ **المفتاح الرابع: وكل**

تضرع إلى الله تعالى أن ييسر لك الصلاة بقلب ، ألح عليه السؤال والطلب ليلا ونهارا سرا وجهارا ، ردد دائما : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، قل أعوذ

برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

عليك بهذه الأدعية العظيمة التي شرعها الله لنا لنستعين به على تحقيق هذا الأمر العظيم الذي فيه نجاتنا وفلاحنا في الدنيا والآخرة .

استعذ بالله من الشيطان الرجيم كلما حاول أن يصرفك عن قراءتك وصلاتك ، ومع الاستعاذة انفث عن يسارك ثلاثا إن اشتد عليك الأمر وحال الشيطان بينك وبين صلاتك ففي هذا خلاص لك من كل شر.

خاتمة الكتاب

اعتبر هذا الكتاب الفصل الأخير في قصة البحث عن سر النجاح في الحياة.

سر النجاح في الحياة هو الصلاة التي تحققت فيها المفاتيح الثلاثة عشر كاملة .

إن الصلاة في عقول الناس لها مفاهيم كثيرة إما خاطئة أو مشوهة أو قاصرة.

ومتى أردت الصلاة التي أرادها الله في كتابه العزيز ، وشرعها النبي صلى الله عليه وسلم في سنته فهي الصلاة بهذه المفاتيح كاملة دون غيرها من الصلوات التي يعتقدها كثير من الناس.

لا بد أن يعرف المصلي لماذا يصلي ، عليه أن يستحضر مقاصد الصلاة واحدا واحدا ، ليكمل إخلاصه في صلاته فيعظم نفعها.

وأن تكون على هدي النبي صلى الله عليه وسلم في كل قول أو فعل ، فكلما كانت أفعال الصلاة وأقوالها أقرب إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم كلما كانت أكمل وأعلى.

والمفتاح الثالث : قراءة القرآن بتدبر لا بد أن يتحقق فيها المفاتيح العشرة لتدبر القرآن.

والمفاتيح من الرابع إلى الثاني عشر هي أجزاء الصلاة وأجهزتها اللازمة لحياتها متى اختل واحد منها حصل خلل ونقص في الصلاة .

والمفتاح الثالث عشر: هو سياج هذه المفاتيح وحافظها فما لم تكن كل هذه المفاتيح بقلب أي بتركيز وحضور مستمر للقلب فإن أثرها يتبخر ويضمحل ثم يتلاشى .

متى سمعت أو قرأت لفظ الصلاة في القرآن أو السنة في خطبة أو موعظة أو كتاب فاعلم أن المراد به الصلاة بهذه المفاتيح جميعا.

ومن أجل تحقيق النجاح في الصلاة للنجاح بها في الحياة لا بد من الحفظ التربوي لمقاصد الصلاة ، والتدريب المستمر على مفاتح إقامة الصلاة الثلاثة عشر ، جاهد حتى تصل ، ولا تيأس أو تستعجل، والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محتويات الكتاب